

الترجمة إلى العربية

قضايا وآراء

عبد الرحمن
عبد الرحمن

ركتور بشير العيسوي

دار الفكر العربي

عبد الرحمن عيسى

0107486



Bibliotheca Alexandrina

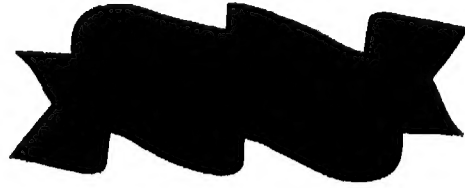
دكتور بشير العيسوي

الترجمة إلى العربية قضايا وآراء

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر
ت : ٢٦٣٨٦٨٤

الإهداء



إلى صديقي الأستاذ الدكتور / فوزي عطية،
العميد الأسبق بكلية الألسن (رحمه الله)، أهدى هذا
العمل، فقد كان شاهداً على بداياته، وكان لأحاديثه
فضل كبير في بلورة بعض القضايا التي يحويها.



الصفحة	الموضوع
٦	- مقدمة
١١	- تعددية النص المترجم إلى العربية.
١٦	- غياب المفهوم التاريخي فى النصوص المترجمة إلى العربية: مثال من هوثورن.
٢٧	- تعريب العلوم وقضية الدولة : رد على د. الشاذلى القليبي.
٣٢	- عنانى وفن الترجمة : مناقشة لأراء الأستاذ الدكتور محمد عنانى فى كتابه " فن الترجمة " .
٤٣	- وظيفة الترجمة .
٥٢	- اللغة العربية بين التصعيد والترجمة .
٦٣	- القويطفى وأدوات النقد : الرد على تعقيب د. محمد القويطفى "وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة وحد المقص" .
٧٢	- الترجمة الإبداعية .
٨٥	- ترجمة المصطلح النقدى .
١٠٧	ملحق أ : مقالة د. الشاذلى القليبي "تعريب العلوم وقضية التنمية" ، الأهرام ٢٧/٤/١٩٩٤م .
١١٦	ملحق ب : تعقيب د. محمد القويطفى "مقالة وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة وحد المقص" ، (الرياض : ٩٧١٩) فى ١٩٩٥/٢/٢ .

مقدمة

لن أضيف كثيراً عندما أذكر بأهمية الترجمة ودورها في تاريخ الفرد والمجتمع. وكذلك لن أتى بجديد حين أذكر بالعلاقة الوطيدة بين تعلم اللغات الأجنبية والترجمة إلى العربية - وخصوصاً أن حالة من الملل والانكسار النفسى التى تسود أوساطنا الثقافية يعزوها البعض إلى عوامل اقتصادية عوامل أخرى لسنا فى مجال الخوض فيها.

ولقد شغلتنى بعض قضايا الترجمة إلى العربية، منها القضايا التى يناقشها كتاب اليوم. وهناك من يشاركنى الاهتمام بهذه القضايا، ولكن يبدو أن إثارتها مكتوبة لا يحظى بحماس ذلك البعض. إن قضايا الترجمة إلى العربية تستحق منا التوقف والدراسة والخلوص إلى نتائج عملية ومعقولة بعيداً عن العبادات الإنشائية التى منها "ونرى إنشاء هيئة عليا للترجمة" و "فى رأينا أن تقوم لجنة بدراسة أحوال الترجمة". ستبقى الترجمة جهداً فردياً بالدرجة الأولى، أما دور المؤسسات - حكومية أو خاصة - فىأتى بالدرجة الثانية، حيث يكون لها دور التمويل والمساعدة فى النشر والتوزيع. وأشير هنا إلى مثال قائم ألا وهو سلسلة "عالم المعرفة" بدولة الكويت، فإن نسبة تزيد عن الستين بالمائة من أعمالهم المنشورة (١٩٥ عملاً حتى مايو ١٩٩٥) هى أعمال مترجمة من مختلف لغات العالم إلى العربية. والنظام المتبع فى عالم المعرفة يقوم على الدعوة فقط؛ أى أن المترجم يتقدم بمشروع الترجمة وإذا رأت اللجان الفنية أن ذلك العمل لم يسبق ترجمته، وأنه يستحق الترجمة فإنها توافق على ذلك المشروع. وبالطبع فلن لتلك المؤسسة المحترمة القدرة على التوزيع الكبير وكألك الدفع المجزئ للمترجمين الذين يبذلون كل مافى وسعهم لخدمة الثقافة العربية. وجامعة الملك سعود بها مركز متخصص فى الترجمة يقوم على أمره مجموعة متميزة من المتخصصين فى مختلف اللغات ومشاريعه الطموحة تشمل إصدار بيبليوجرافيا الأعمال المترجمة إلى العربية من مختلف اللغات، وهو ما طالبنا به فى أول دراسة فى هذا الكتاب حتى نتجنب تعدد الترجمات للنص الأجنبى الواحد. كما أن مشروع الألف كتاب، الذى تقوم به الهيئة المصرية العامة للكتاب، مشروع رائد يهدف إلى نقل الموجود الغربى إلى ثقافتنا العربية حسب خطة مدروسة ومنظمة.

إذن، الترجمة إلى العربية ينقصها عناصر أخرى غير وجود المؤسسات، فهذه المؤسسات قائمة وموجودة. الترجمة إلى العربية في حالنا الراهن ينقصها أن نجيب عن أسئلة جوهرية منها : ماذا نترجم؟ من يترجم؟

وبالطبع السؤال التقليدي الذي نحار في الإجابة عنه : من هو المترجم؟ الإجابة على السؤال الأول تحتم أن يكون هناك تفاهم بين الجهات القائمة على الترجمة والمترجمين بغرض أن يجاز للترجمة فقط الأعمال الحديثة والمعاصرة التي تخدم علومنا وثقافتنا. ونحن لا نحدد تاريخاً بعينه لعمر الأعمال التي ينبغي ترجمتها، فالذي يحكم ذلك هو حاجتنا للإستزادة من المعرفة في حقل ما، وليس ذائقة فرد يرى أن الكاتب فلان متميز ولذا يجب ترجمة أعماله كاملة وإضاعة السنوات في إشباع رغبة ذلك الفرد حتى ولو كان أديباً أو ناقداً.

أما السؤال الثاني فإن إجابته هي كل قضية الترجمة. إذا كان من يترجم شكسبير وميلتون ومارلو وووردزورث هم خريجو أقسام اللغة الإنجليزية من جامعاتنا العربية، فمن يترجم موسوعات الطب والصيدلة والهندسة والصواريخ وعلوم الفضاء؟ وهنا أجدني أتفق تماماً مع ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد عناني، في مناقشتي لأدائه في هذا الكتاب، من أنه لا توجد لغة أدبية وأخرى سياسية وثالثة اقتصادية، ومن ثم لا يوجد مترجم أدبي وآخر سياسي وثالث اقتصادي. فالترجمة فن من يجده يستطيع أن يترجم في أي حقل. والتخصص مطلوب، لكنه لا يعنى أن من يترجم الطب يكن طبيباً. التخصص الذي نغنيه هو طول المراس في تناول مواد حقل معرفي معين، فذلك مايكسب المترجم خبرة لغوية في التعامل مع مصطلحات ذلك الحقل. ولا بد أن أشيد هنا بتوصيات المؤتمر الذي عقدته أكاديمية البحث العلمي، حول الترجمة العلمية (١٩٩٥) والذي أكد على أهمية التنسيق بين المترجمين والعلماء في كافة التخصصات أثناء عملية الترجمة. فذلك مما يبعد كثيراً من الإبهام والغموض في النصوص المترجمة إلى العربية، ذلك أن معظم من يقومون بها هم من دارسي اللغة الإنجليزية وأدائها ومعرفتهم بالعلوم والطب - في حد تقديري - ليست عميقة.

أما السؤال الثالث : من هو المترجم؟ فإجابته لن تحددها مقدمة قصيرة كهذه. ولكن قد يكون لي الحق أن أطرح تصوري عن شخصية المترجم. المترجم

هو من يؤلف نصاً قُبلياً، ويبحث بعد ذلك عن لغة يؤطره فيها. فإذا قرأ المترجم العربى قصيدة لآليوت مثلاً، فإنه يفهمها ويبدأ فى تأطيرها بلغته وهى العربية فيأتى ذلك النص عربياً؛ قد يكون له صفة النص العربى الخالص، وقد تشوبه بعض الشوائب التى تخرجه من ميزة كمال النص العربى، إلا أنها تبقى محاولة لوضع ذلك النص القبلى الذى رآه المترجم ونقله إلى العربية هكذا. أما مؤهلات ذلك المترجم فلا أستطيع القطع بها، كأن نقول مثلاً أنه ينبغى أن يكون خريج كلية كذا أو كذا. فذلك تحجيم لأفق عريض، وإلا فمن أى كلية تخرج مترجمو العصرين العباسيين الأول والثانى الذين نتحدث عنهم فى الدراسة قبل الأخيرة من هذا الكتاب. إن وجود كليات متخصصة يساعد فى تكوين المترجم الكفاء، لكن العكس ليس صحيحاً.

أضع بين يدى القارئ الكريم بعضاً من مشكلات الترجمة إلى العربية، وأطرح فيها بعضاً من آرائى قد نختلف أو نتفق حولها. ومن تلك القضايا "تعددية النص المترجم إلى العربية" - لماذا يترجم نص إنجليزى - مثلاً - عشرة مرات إلى اللغة العربية، وفى كثير من الأحوال يعلق كل مترجم، على حدة، أن ترجمته هى الأولى.

"غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى العربية" هى ثانى دراسة، وهى تناقش الأسماء والأماكن وتاريخهما فى الإنجليزية، وذلك مفهوم لدى دارسى الإنجليزية، أو متكلميها، لكننا حين نترجمها إلى العربية فإن ذلك الفهم ينعدم تماماً إلا إذا تدخل المترجم ليوضح بين حين وآخر معنى ذلك الاسم ومفهومه.

"اللغة العربية بين التصعيد والترجمة" دراسة توضح مدى صلاية اللغة العربية وصمودها فى وجه موجات الغزو اللغوى واحتواء المفردات التى ترد إلينا حديثاً إما بالترجمة الصرفة، أو باستيعابها كما هى مع إضافة الزيادات العربية عليها. أما "تعريب العلوم وقضية الدولة" فهو رد على معالى الأستاذ الدكتور الشاذلى القليبي حول مقال نشر بالأهرام فى ٢٧/٤/١٩٩٤ وأرسلت هذا الرد إلى الأستاذ لطفى الخولى لكن يبدو أنه لم يحظ بالنشر، وأنشر مع ردى ملحق (أ)

وفيه مقاله الدكتور القليبي لما لها من قيمة أدبية رفيعة من قلم رجل صاحب خبرة طويلة في العمل العربي.

بعد ذلك "عنانى وفن الترجمة" أناقش فيها آراء متخصص وعامرس للترجمة ومكابد لعناء النص. إن كتاب الدكتور عنانى - "فن الترجمة" - مرجع متميز فى الترجمة إلى العربية لا يجب أن تخلو منه مكتبة مؤسسة مهتمه بالترجمة.

أما "وظيفة الترجمة" فهي مقالة حاولت فيها أن أحدد بعض مهام وظيفة الترجمة فى حياتنا المعاصرة - وقد أثارت تلك المقالة جدلاً كان من نتائجه الرد الذى تفضل به الأستاذ الدكتور محمد القويلى وكيل كلية الآداب جامعة الملك سعود، والذى أعتز بإعادة نشره هنا فى ملحق (ب)، وكذلك أنشر ردى على مقالته تلك.

"الترجمة الإبداعية" مقالة بذلت فيها الكثير من الجهد وأظننى أثير قضية لم يتطرق إليها أى من المهتمين بالترجمة إلا من بعيد. أما "ترجمة المصطلح النقدي" فهي آخر دراسة، أستعرض فيها المحاولات العربية لترجمة المصطلح النقدي من السبعينات وتحديداً مع ظهور "معجم مصطلحات الأدب" (١٩٧٤) للأستاذ الدكتور معجدي وهبة، ثم "المعجم الأدبي" (١٩٧٩) للأستاذ جبور عبد النور، مروراً "بموسوعة المصطلح النقدي" (١٩٨٣) التى جمعها جون جمب فى ثلاثة أجزاء وترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، ثم "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) لرامان سلدن التى ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور جابر عصفور، وصولاً إلى "دليل الناقد الأدبي" (١٩٩٥) للدكتور سعد البارعى بالاشتراك مع الدكتور ميجان الرويلي.

هذا، والله أسأل التوفيق من لدنه سبحانه وتعالى، كما أسأله أن يوسع رقعة المهتمين بالترجمة عموماً، وخصوصاً الترجمة إلى العربية. كما أتقدم بالشكر إلى كل قارئ - اتفق أو اختلف - مع ماذهبت إليه فى هذا الكتاب المتواضع.

د. بشير العيسوى

القاهرة فى ٢٦/٧/١٩٩٥

تعددية النص المترجم إلى اللغة العربية^(*)

تعددية النص المترجم إلى اللغة العربية واحدة من القضايا التي تلفت انتباه دارسى الترجمة. وتتلخص القضية في وجود عدد من الترجمات العربية التي تظهر من وقت لآخر في بلدان عربية متباعدة أو متقاربة ثقافًةً وحدوداً، وتلك الترجمات لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض طالما أن خطة المترجم هي النقل عن النص الأصلي للعمل موضوع الترجمة. وتختلف النصوص المترجمة عن النص الأصلي في حالات منفردة كأن يعلن المترجم أنه يقوم بتمهيد مسرحية لشكسبير مثلاً فتأتي أسماء أبطاله عربية مصيرية وتأتى الأحداث والوقائع مصيرية وهذا النوع من الترجمات وكذلك الاقتباسات ليس موضوعنا اليوم.

ونحن لا ننكر على المترجم العربى تعددية النص المترجم إن كان لذلك ما يبرره، فظهور ترجمة عربية لعمل معين منذ مائة عام لن تكون صالحة لاستخدامنا الآن، وبذا تكون ترجمة ثانية أمراً واجباً وضرورياً. ولكن وجود سبع ترجمات لمسرحية " روميو وجوليت " في فترات متقاربة أمر يدعو للتوقف، فقد ترجمت تلك المسرحية في السنوات: ١٨٩٨ ترجمها عبده طائينوس، وفي ١٩٦٠ ظهرت ثلاث ترجمات وهي لسمير شبحاني، ومؤنس طه حسين، وحسن محمود، وفي ١٩٧٨ ظهرت ترجمتان لكل من جمال غازي وعلى أحمد باكثير. وكذلك الأوديسة لهوميروس تُرجمت ثلاث مرات: في ١٩٤٧ ترجمتها عبدة سلام الخالدي، وفي ١٩٦٠ ترجمها دريني خشبة، وفي ١٩٧٨ ترجمها أمين سلامة.

إن تلك الظاهرة تستدعى منا التوقف في محاولة لدراسة الأسباب التي أدت إلى وجودها ومن ثم محاولة تلافيها كي لا تتكرر دونما داع فعلى وعملى. ومن بين تلك الأسباب، كما يتبين لى ما يلى:

١- عدم وجود رابطة للمترجمين العرب يستطيعون من خلالها تنسيق أعمالهم التي ينوون ترجمتها مسبقاً، وكذلك التي تم ترجمتها سابقاً وأذكر هنا أن أستاذنا الدكتور رمسيس عوض قد أمضى معه فريق من خريجي عام ١٩٨٣ بكلية اللسان قسم اللغة الإنجليزية، أمضوا ذلك العام وهم يكدون ويجتهدون في سبيل إخراج ترجمة رواية جورج أورويل " ١٩٨٤ " مع بداية السنة الميلادية التالية وهي

(*) نشرت في جريدة "عكاظ" - الصفحة الثقافية - العدد ١٠١٧ بتاريخ ١٩٩٤/٤/٢٠ تحت عنوان "شكسبير وسبع ترجمات عربية".

١٩٨٤ وقد نجح الرجل فى ذلك المضمار وفرح الجميع بذلك الإنجاز، وخصوصاً أنه قد صاحبه دعاية إعلامية وتلفازية جيدة. إلا أن الفرحة لم تدم طويلاً إذا اكتشفنا أن ذلك النص قد ترجم من قبل. فقد ترجمه السورى ع. عبد الرحيم والنسخة المترجمة الموجودة بجامعة الملك سعود لا تحمل تاريخاً للنشر ولكن لون الأوراق يعطيها من العمر ثلاثين عاماً على الأقل، أى أن ترجمة ع. عبد الرحيم سبقت ترجمة رمسيس عوض بعشرين عاماً تقريباً وقامت بنشرها دار الأديب للطباعة والنشر فى دمشق. وخبث الفرحة أكثر عند علمنا أن الأستاذ عزيز ضياء فى المملكة العربية السعودية كان يقوم بنفس الجهد ولديه نفس شعور رمسيس عوض فقدم ترجمة لتلك الرواية تحت عنوان " العالم عام ألف وتسعمائة وأربع وثمانين " وظهرت مع بداية عام ١٩٨٤ للميلاد. وقد قدم لها باستفاضة بالغة وقيمة قاربت الأربعين صفحة من القطع الكبير، ويقول: " وبعد ، فهذا هى القصة تنشرها شركة تهامة، مترجمة إلى اللغة العربية، ولأول مرة فى العالم العربى، وفى مطلع عام (ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون)، وتتداولها أيدي القراء فى هذا العالم الذى عاش الأعوام الثلاثة الأخيرة، أخطر تطورات قضيته الكبرى التى أسميها قضية حرب الثلاثين عاماً... " (ص ٣٢). وتضيق البقية الباقية من الفرحة حينما نعلم أن عبد الكريم ناصيف قام بترجمة رابعة للقصة نفسها عام ١٩٨٦ وتقوم بنشرها دار نوبل فى دمشق. تخيلت بعد هذا أننا نعيش فى عوالم معزول بعضها عن البعض الآخر، وأن وسائل الاتصال التى نتحدث عنها قد انعدمت تماماً حتى فى هذه الموضوعات التى تتداولها المجلات والصحف السيارة. لذا فإن وجود رابطة للمترجمين العرب ليس رفاهية وليس ترفاً، لكنه ضرورة ملحة لتنظيم الجهد والوقت وتقديم كل ما يفيد القارئ العربى ويثرى ثقافته.

٢- عدم وجود وسائل اتصال بين المترجمين والجهات القائمة على الترجمة. فبالرغم من وجود أجهزة الاتصال الحديثة من تليفون وتلكس وفاكس وقبلهم أجهزة التيكس والتيليرنتر، إلا أننا نجد مترجمى المشرق فى واد ومترجمى المغرب فى واد ثان، ومترجمى الشام فى واد ثالث. ولا أظن أنه يمكن الاستفادة من هذه الوسائل الاتصالية إلا بوجود هيئة تنظم تلك الصلات والروابط، فعلى مستوى الأفراد لابد أن تكون هناك رابطة فى كل دولة عربية تتولى تمثيل هؤلاء الأفراد، أما

على مستوى الهيئات القائمة على الترجمة فإن عليها أن تقوم بالاتصال ببعضها البعض من وقت لآخر. أننا في عالم يبدو - مع وسائل الاتصالات الفضائية - كأنه قرية صغيرة، فلماذا لا نستفيد من تلك الوسائل رهيدة التكاليف؟

٣- أنه مع وجود هيئات للترجمة في كل دولة عربية، إلا أن تلك الهيئات تصطبغ بالصبغة السياسية البحتة، وكذلك الإقليمية المتغطرة. وذلك أخطر ما في الأمر، وهو يقضى على كل أمل باق في حل تلك المشكلة. فإذا كان جل ما نتمناه أن تقوم في كل بلد عربى هيئة للترجمة والمترجمين. فإن قمة اليأس تاتى عندما تكون تلك الهيئة تبعا لسياسة البلد الذى توجد فيه. ولا يسعنا إلا أن ندعو دوما إلى نبذ القوميات عند تناول موضوعات الثقافة والفكر على عمومها.

٤- عدم وجود بيبليوجرافيا للأعمال المترجمة إلى العربية تغطى الأعمال الموجودة فى العالم العربى. ورغم أن مراكز جمع المعلومات كمركز الميكرو فيلم فى الأهرام بالقاهرة يقدم عرضا مطبوعا ومنشورا بين الحين والآخر إلا أن الأعمال المترجمة المنوه عنها تبقى حبيسة الإقليمية، ورغم أن داراً تونسيه قد أصدرت دليلا للمترجم وهيئات الترجمة فى العالم العربى، إلا أن تصفح ذلك الدليل يدلنا أن المعلومات التى فيه ليست حديثة كما أن عدداً من المترجمين المذكورين فى الدليل لا قوا ربهم منذ سنوات، ويتبين أن تلك المعلومات أخذ معظمها من صفحات الكتب، وهذا أمر طيب، ولكننا نريد معلومات من خلال اتصال مباشر بالقائمين على الترجمة.

٥- وفى هذا الصدد، فإن جامعة الملك سعود بما أتيح لها من إمكانات عظيمة كما هي فى معهد اللغات والترجمة تستطيع القيام فى الوقت الراهن على الأقل بعمل تلك الببليوجرافيا - فلدى المعهد عدد من الأساتذة المتخصصين فى الترجمة تدريساً وتاريخاً وعلماً ويستطيع كل منهم أن يدلى بدلوه حسب تخصصه. والمعهد يضم أقسام اللغات الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية والروسية والتركية والعبرية والفارسية وفى المستقبل هناك خطة لافتتاح أقسام للايطالية وما تدعو حاجة المملكة له من لغات أخرى. وفى هذا العام افتتح قسم اللغة اليابانية. ويستطيع المعهد بإمكاناته المتاحة وفى وجود عميد شاب كالدكتور

عبد الله الحميدان أن يضع بيبليوجرافيا متوسطة الحجم تعتمد على جمع المعلومات البيبليوجرافية الموجودة في المكتبات ومراكز البحوث ذات التقنية الحديثة مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومكتبة جامعة الملك سعود، على أن يتم تطوير تلك البيبليوجرافيا سنويا وذلك بإضافة ما يطرأ من مستجدات في حقل الأعمال المترجمة. وأقترح أن تقسم تلك البيبليوجرافيا على النحو التالي:

أ - قسم للهيئات القائمة على الترجمة في العالم العربي ويشتمل على الهيكل التنظيمي لتلك الهيئات مع أسماء القائمين عليها وعناوينهم وكذلك أرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ثم كشاف بيبليوجرافي بالأعمال التي تم ترجمتها والتي تنوى تلك الهيئات ترجمتها مستقبلا.

ب - قسم للأفراد المشتغلين بالترجمة، وهذا - في نظري - أهم من القسم السابق. ويشتمل على اسم المترجم وعنوانه وأرقام الهاتف والفاكس إن وجدت. ويتم محاولة إيجاد حقول متخصصة لكل مترجم، فمثلا يمكن تخصيص حقولين رئيسيين للترجمة هما العلمية والأدبية، وعنهما تتفرع تخصصات أخرى مثل الترجمة الطبية وترجمة العلوم البحتة (الفيزياء - الكيمياء - الأحياء - الرياضيات - الفلك - الهندسة - النبات) وترجمة العلوم الإدارية والاقتصاد والحاسب الآلي، وقد يتفرع عن الترجمة الأدبية حقول مثل ترجمة التاريخ والفلسفة واللغة والأدب بتخصصاته المتعددة في الشعر والنثر والأسطورة، وكذا علوم اللغة المختلفة.

إن تلك البيبليوجرافيا ستعتمد على جهود أفراد يعملون في نطاق فريق واحد تحت منظومة واحدة، ويتم في النهاية تبادل تلك البيبليوجرافيا مع كل الهيئات العربية المشتغلة بالمهمة بالترجمة على أن يطلب إلى تلك الهيئات موافاة معهد اللغات والترجمة بما يمكن إضافته إلى تلك البيبليوجرافيا، حتى يتم تحديث الطباعات التالية من ذلك العمل الذي أعتقد أنه بداية البداية في تنظيم عملية الترجمة إلى العربية. ومن ناحية الكلفة الاقتصادية فإنها لا تحتاج إلى ميزانية خاصة كتلك التي نسمع عنها في المشاريع الطموحة، فهي لن تتعدى تكلفة طبع كتاب، تكتب أصوله على الآلة الكاتبة فقط.

٦- تظهر تعددية النص المترجم إلى العربية فى النصوص الأدبية فقط ولا تظهر فى النصوص العلمية، حتى ليدو وكأن الترجمة إلى العربية مقصورة على الأدب فقط. وهذا تحجيم لدور الترجمة. لذا وجدنا أن عددا كبيرا من أساتذة العلوم يقومون بترجمة الأعمال العلمية التى يقومون بتدريسها بلغات أجنبية إلى العربية، وكذلك تلك التى تستخدم كمراجع بحثية لطلاب الدراسات العليا. ونحن لا نعيب هذا المنحى على هؤلاء الأساتذة، ولكننا نخلص من موقفهم ذلك إلى عدم موثوقية ما يمكن أن يقدمه مترجم النص الأدبى، وكأننا أمام فريقين: فريق الأدباء وفريق العلماء، وهذا خطر كبير. فنحن لا نستطيع أن نبني ثقافة أمة وفكرها مع وجود هذا الشقاق البين بين العالم والأديب.

وتستطيع الجامعات العربية - حلاً لهذا الإشكال - أن تقوم بترشيح عدد من الأعمال فى الأصول الأجنبية للترجمة إلى العربية وأن تعطى تواريخ محددة يتوقع فيها ترجمة تلك الأعمال، وعند ظهورها تلزم طلابها أن يتخذوها كتباً دراسية أو مرجعية. إن ترجمة العالم العربى للأصول الأجنبية تظهر فيها جفوته للعربية وهذا ما يكرهه الأديب، وترجمة الأديب للنص العلمى تظهر فيها شاعرية اللغة العربية وهذا ما يكرهه العالم. ولذا وجب وجود قناة يتم من خلالها الاتصال وتبادل الرأى حول كل مصطلح علمى وما يمكن أن يقابله فى العربية. ولكن أن نظل نستخدم ألفاظاً إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية كما هى عقوداً من الزمن قائلين بأن العربية لا يوجد فيها هذا المعادل فهذا القول غير واقعى وينم عن عجز فينا وليس فى لغتنا.

عما سبق يتضح أن تعددية النص المترجم قضية قائمة وهى لا بد أن تواجه كل المشتغلين بالترجمة. إنها ليست مشكلة خطيرة تصل إلى حد إعاقه الترجمة ذاتها، وكذلك هى ليست هينة إلى حد تجاهلها. لذا وجب أن نتوقف أمامها وندرس بعض الأسباب التى رأيت أنها مسئولة عن وجودها واقترحت بعض الحلول المتواضعة لحلها. وأسباب المشكلة وحلولها لا تنحصر فيما قلت فقط وإنما هى محاولة لعلاجها وقد يكون للآخرين تعليق وتعقيب، فمن الرأى الآخر نستفيد ومن النقاش نتعلم.

غياب المفهوم التاريخي في النصوص المترجمة إلى العربية

أجد من الضروري في المقدمة أن أسأل سؤالين.

الأول : ماذا يتبادر إلى ذهن العربي لو ذكر اسم "الحجاج" مفرداً دون إضافة نسبة وفخده ؟ بالطبع تستدعى صورة ذلك الرجل في العمامة وهو يعتلى المنبر في الكوفة يقف خطيباً يهدد ويتوعد من قذفه بالحصى، وتستمر الذكرى إلى أن تصل مداها بصورة السيف الذى أعمله الحجاج فى أهل العراق والرؤوس التى أينعت وحان قطافها، وتستدعى الذاكرة صفات القسوة والشدة جميعاً التى اتصف بها الحجاج بن يوسف الثقفى ذلك القائد الذى لا ينساه التاريخ العربى لتفردہ ولنوادره .

الثانى ماذا يتبادر إلى ذهن العربي عند سماع أى من الأسماء التالية: السيدة هيبينز، الحاكم بيلنجهام، أو جون ولسون؟^(١) وهى من الأسماء التى وردت فى "الشارة القرمزية" (١٨٥٠) مترجمة إلى اللغة العربية؟

أظن أن الإجابة فى هذه الحالة ستكون لاشئ، فتلک أسماء غير عربية لشخص غير عرب، وسيكون لتلك الأسماء معنى معين لدى دارس الأدب الأمريكى ولدى المتخصصين فى تلك الفترة التى تدور فيها أحداث "الشارة القرمزية" وهى ١٦٤٠ كما يدعى ناثيال هورثون (١٨٠٤ - ١٨٦٤) على لسان الراوى فى تلك الرواية التى يضعها هارى ليفين على رأس قائمة الأعمال الكلاسيكية فى الأدب الأمريكى^(٢). وبالطبع لن يخلو الرد من إشارات تاريخية متعمقة موضحة كل اسم ودلالته ولماذا أورد على هذا النحو.

الأعمال الأدبية لا تخلو من الإشارات التاريخية من وقت لآخر، وتلك الإشارات جزء من ثقافة وحضارة اللغة التى تكتب بها تلك الأعمال ومن ثم لا يصعب على أهلها المتكلمين بها فهمها والنفاذ إلى مغزى إيرادها هنا أو هناك . وعليه يكون ذكر "الحجاج" فى أى مطبوعة عربية مفهوماً، أما ذكر السيدة هيبينز والحاكم بيلنجهام وجون ولسون فلا يعنى للقارئ العربى شيئاً يذكر . وهناك من يكابر بالقول إن دارس الأدب الأجنبى عليه أن يلم بالتاريخ والثقافة والفكر للفترة التى كتب فيها العمل موضوع الدراسة، وأظن أن هذا مطلب طموح .

لذا كانت الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية خالية من المفهوم التاريخي الموجود فى النصوص الأصلية للأعمال المنقول عنها. ولقد لمست هذا فى ترجمة "الشارة القرمزية" للأستاذة جاذبية صدقى، فخرجت الترجمة - رغم دقتها وموثوقيتها - غير مكتملة الأبعاد، لأن التاريخ فى تلك القصة جزء أساسى لفهمها فى الإنجليزية التى كتبت بها، فما بالناس فى العربية التى ترجمت إليها.

قامت الأستاذة جاذبية صدقى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ونيويورك بترجمة The Scarlet Letter تحت عنوان "الشارة القرمزية" وذلك فى عام ١٩٥٨. ومعلوم أن هوثورن كتب تلك القصة بعد تسع سنوات قضاهما فى جيمرك مدينة سيلم. والقصة التى تقع فى مائتين وأثنين وستين صفحة من القطع المتوسط تنقسم إلى جزئين: مقدمة عن جيمرك سيلم فى سبع وأربعين صفحة، والقصة وهى فى مائتين وخمس عشرة صفحة. وقد كتب معظمها فى عام ١٨٤٩ وأكملها فى فبراير ١٨٥٠ وظهرت للقراء فى مارس من نفس العام. ولقد وفقت المترجمة فى العنوان أيما توفيق "فلو أنها ترجمت العنوان حرفياً لقلت، الحرف القرمزى، وخسرت بذلك وهج الصورة وقدرتها على التوصل فاجتهدت فى الترجمة وأحسنت" (٣) ولو أن جاذبية صدقى وقعت فى خطأ ترجمة العنوان لكان "الحرف القرمزى" أضحوة.

إن هيستر برن^(٤) تخون زوجها إبان غيابه وتحمل سفاجاً وتضع مولودتها ويحكم عليها رجال الكنيسة عليها بأن تضع قطعة من القماش القرمزى تنسج عليها هيستر بيدها بخيط ذهبى دقيق الحرف الأول من حروف الأبجدية الإنجليزية وتضع القماشة القرمزية وعليها ذلك الحرف على صدرها طيلة حياتها الباقية. وتلك - تعريفاً - شارة وليست حرفاً. وهذا الحرف A هو بداية كلمتى Adulterets و Adulterer ومعناها زانى أو رانية من المتزوجين، وكأن المحكمة الكنسية لم تكتف بقرار الإدانة الذى أصدرته وسجلته، لكنها حكمت بتقريع تلك الخاطئة أينما ذهبت بتلك الشارة القرمزية.

فى النص الإنجليزية، طبعة Riverside إحدى وسبعون هامشاً، أدخلها الناشر هارى ليفين لأسماء أشخاص وأماكن وأحداث تاريخية فى المقدمة والقصة.

ويمكن للقارئ في النص الإنجليزي فهم البعض منها لكن أكثرها يحتاج إلى توضيحات في الهوامش بدونها لا يكتمل المعنى الذي قصد إليه هوثورن، ولقد جاءت الترجمة العربية خالية من أى من تلك الهوامش، إلا هامشاً واحداً فقط وهو حول ما كان هوثورن ينوى نشره مع هذه القصة ثم اثنى عنه ^(٥). وهذا ما أفقد النص المترجم الكثير من روعة النص الإنجليزي.

وأورد هنا أربعة أمثلة فقط لتوضيح، وجهة نظري:

١- نقرأ في النص الإنجليزي :

"...With a description of my way of Life in the deep quietude of an Old Manse House".

وترجمت إلى العربية على النحو التالي: "بوصف أسلوب حياتي في بيت قديم هادي" ^(٧). وفي الهامش يقول هاري ليفين في النص الإنجليزي أن هذه الفقرة إشارة إلى كتاب هوثورن (1846) Mosses from an Old Manse Hosue

حيث قدمه بقوله "إن المؤلف يجعل القارئ ملماً بمكان إقامته". إذن فلفظة "بيت قديم هادي" التي في الترجمة لم تعطنا هذه الإشارة التاريخية إلى Old Manse House وهو منزل جد رالف وولدو إيميرسون (١٨٠٣ - ١٨٨٢) الذي أقام فيه هوثورن والذي كتب فيه إيميرسون رائعته Nature "الطبيعة" في عام ١٨٣٦. كما كان له أثر عظيم في كتابة هوثورن لرائعته "أعشاب من البيت القديم".

٢- في نفس الصفحة نقرأ:

"The example of famous P.P Clerk of Parish" more fatithfully Followed"

وترجمتها في النص العربي: "وسوف أقلد كمثلاً أعلى، القطعة ذائعة الصيت" ب.ب. كاتب الإبرشية - يوضح لنا الناشر في هامشه أن يوميات هذه الشخصية الخيالية - ب.ب. كاتب الإبرشية - كانت في المحيط الأدبي لألكسندر بوب (١٦٨٨ - ١٧٤٤) وكانت تلك اليوميات تقليداً ساخراً لعادة الخروج عن النص إلى كتابة السيرة الذاتية والتي ظهرت في كتاب جلبرت بيرنيت History of His Own Time إذن لم يعطنا النص العربي أى إشارة ممكنة إلى هذا الزخم التاريخي

والثقافى الذى تعطيه الفقرة الإنجليزية . وأهم من ذلك ما نفهمه من أن هورثورن
ينوى الدخول إلى السيرة الذاتية وأن أمامه عمل بيرنيت كمثال
٣- فى النص الإنجليزي نقراً:

"The Figure of that first ancestor, invested by family tradition with a
dim and dusky grandeur to my boyish imagination"^(٩)

وهى فى النص العربى : " فشبح ذلك الجد الأول الذى أضفت عليه تقاليد
الأسرة عظمة قائمة كان يشاغل خيال صباى منذ بدأت أعى " ^(١٠) هذا الجد الأول
كما فى الهامش الإنجليزي - وليام هورثورن - رائد فى ميليشيا بلدة سيلم ، وكان
متحدثاً باسم نواب ماساتشوستس ، وقد هاجر من إنجلترا إلى أمريكا فى عام
١٦٣٠ م . وأضيف ، أنه كان من القضاة البيوريتانيين الذين حاكموا ساحرات سيلم ،
فى سلسلة المحاكمات المشهورة ، ومن النقاد من يقول أن هورثورن كتب " الشارة
القرمزية " ليعتذر عن فعله جده فى حق هؤلاء الساحرات وإن كنت شخصياً لا
أميل إلى تأييد هذا رأى . على أية حال الترجمة العربية باغفاله لهذا الهامش ، أو
أى معالجة أخرى له ، لم تعطنا البعد التاريخى - للجد الأول وشبهه - الذى
نتلمسه بسهولة فى النص الإنجليزي .

٤- فى النص الإنجليزي:

"...-Or whether, as there is fair authority for believing, it had
sprung up under the footesps of Sainted Ann Hutchinson as she entered
the prison door, -we shall not take upon us to determine"

يقابلها فى النص العربى : " . . . " ^(١١) أو تصدق الوثائق والمستندات التى
تؤكد أنها ازدهرت تحت أقدام القديسة ، آن هتشنسون ، وهى تخطو داخل
السجن " ^(١٢) . آن هتشنسون (١٩٥١ - ١٦٤٣) رعيمة دينية نفيت لآرائها المنشقة
على الكنيسة إلى رود آيلاند وهناك قتلها الهنود . كأننا بهورثورن يريد أن يقول أن
هيوستن برن أيضاً قديسة ، وهو يرفعها إلى درجة آن هتشنسون واستبدل الهنود الحمر
برجال المحكمة الذين نراهم فى الفصل الثالث .

إضافة إلى الأمثلة الأربعة السابقة، فإن اختيار الأسماء فى "الشارة القرمزية" لم يكن خبط عشواء. إنما اختار هوثورن كل اسم وماله من مدلولات تاريخية معينة فى المجتمع الأمريكى وغير فيه بعض الشئ لىخدم هدفه الفنى فى القصة. ونتوقف أمام ستة أسماء أوردها هوثورن.

١ - هيوستى برن. يقول التاريخ أن شخصاً يدعى وليام برن (١٦٠٠ - ١٦٦٩) كان من أوائل التطهيريين الذين قدموا إلى أمريكا وكان معروفاً بأنه كاتب وناشر. وقد يكون لهوثورن هدف وراء الاسم، فنحن نعلم - من القصة - أن هيوستى برن متزوجة من العالم الطبيب روجر تشلنجورث ولكنها لا تحمل اسمه فتكون هيوستى تشلنجورث، وهى تحمل بدلاً من ذلك اسم عائلة برن. ولا اظن أن هوثورن فعل ذلك خطأ. ربما قصد القول أن واحداً من هؤلاء التطهيريين هو أبوها لأنها تحمل اسمه، كما أن واحداً منهم هو سبب بلوتها ومحتتها وهذا ما يتبين من سرد أحداث القصة فيما بعد حيث نعرف أن السيد آرثر ديمزديل هو شريكها فى جريمة الزنا التى تمخض عنها ميلاد بيرل وكل المصائب التى حلت فى حياة هيوستى برن بعد ذلك.

٢ - السيدة هيوستى. يقول هارى ليفين فى هامشه أن السيدة هيوستى هى أرملة وليام هيوستى وهو تاجر من بوسطن. وقد أعدمت تلك السيدة فى التاسع عشر من يونيو عام ١٦٥٦ لممارستها السحر^(١٣). والسيدة هيوستى فى "الشارة القرمزية" هى شقيقة الحاكم بيلنجهام رئيس محكمة هيوستى وهى تعمل فى السحر وتحبه وقد أعدمت فيما بعد كساحرة. وكان هوثورن يقول إن من يحاكمون الناس على خطاياهم يشنون أن بيوتهم ترخر بخطايا أخرى مماثلة.

٣ - الحاكم بيلنجهام. يقول هارى ليفين فى أحد هامشه: "ريتشارد بيلنجهام (١٥٩٢ - ١٦٧٢) هو حاكم مستعمرة الخليج فى الأعوام ١٦٤١، ١٦٥٤ وفى المدة من ١٦٦٥ إلى ١٦٧٢. وهذه التواريخ لا تناسب أياً من السنوات فى الجدول الزمنى الذى يستخدمه هوثورن"^(١٤). إن هوثورن يحدد زمن روايته فى عام ١٦٤٠ وهى السنة التى حوكت فيها هيوستى برن، فكأننا به وقد أخطأ فى تحديد الزمن كما يقول ليفين. أى أن هوثورن كان على وعى تام أنه يختار أسماء شخصه بعناية فائقة وحرص شديد إلا أن حرصه هذه المرة لم يصب فأخطأ فى درس التاريخ.

٤ - جون ويلسون. هو أحد أعضاء هيئة محاكمة هيوستن برن ويقول ليفين أن " جون ويلسون واحد من قادة البيورتانيين وعاش في الفترة من ١٥٩١ إلى ١٦٦٧ " (١٥) والهامش بما فيه يكفى.

٥ - الحاكم وينشروب. يقول هارى ليفين: " جون وينشروب (١٥٨٨ - ١٦٤٩) هو أول حاكم لمستعمرة الخليج فى ماساتشوستس " (١٦) ولا أظن أن هذه الأسماء التاريخية جاءت بالمصادفة البحتة فى ذهن هوثرن عند كتابة قصته. إنه يريد شهودا من التاريخ كما يريد بشكل أو بآخر أن يقاضى هؤلاء الشهود ويحاكمهم وهو فى حالات معينة يجلداهم كما فعل فى هينز وبلنجهام وديمزديل.

٦ - فى الصفحة ١٢٦ من النص الإنجليزى، يذكر هوثرن اسم سيرتوماس أوفر برى وهو كاتب من عصر اليعاقبة (١٧) حكم عليه بالموت. بالسم لشهادته فى قضية طلاق فاضحة، ويشير إلى أسم دكتور فورمان، وهو كما يورده هارى ليفين فى الهامش " دكتور سيمون فورمان (١٥٥٢ - ١٦١١) عالم فلك، وكيميائى، وهو من الكويكر حيث تبين أن لمراسلاته دليل دامغ فى المحكمة التى انتهت بإعدام أوفربرى عام ١٦١٥ " (١٨).

إن هوثرن يقصد إلى عقد مقارنة بين حالة دكتور فورمان والسيد أوفربرى من ناحية، وحالة ديمزديل وتشلنجورث من ناحية أخرى. فديمزديل يرتكب خطيئته مع هيوستن برن ولا أحد يظن أو يشك بأى حال من الأحوال أنه هو شريكها فى تلك الفعلة. ومن المفارقات المضحكة أن هيئة المحكمة تنتدب السيد ديمزديل ليحقق معها وينتزع منها اعترافاً باسم شريكها فى جريمتها. وحين تلتقيه هستر تبلغه أنها لن تذيع سره وأنها ستبقى تتعذب وحدها ولن يعرف أحد بما وقع بينهما. لكن دكتور تشلنجورث الذى يعيش مع ديمزديل فى نفس المسكن يظل يثير قضية هيوستن برن ومالها من جوانب - فهو زوج هيوستن ولكن ديمزديل لا يعرف ذلك أيضاً - حتى يجبره على الاعتراف بأنه - ديمزديل - شريك هيوستن فى فعلتها. إن الجلو النفسى الذى يضع فيه تشلنجورث ديمزديل يجبر الأخير على

الاعتراف بعد تردد طويل مما يؤدي به إلى ارتقاء المقصلة معلناً أنه شريك هيوستن برن. وبدلاً من شارة قرمزية صنعت من القماش والخيوط الذهبية، كتلك التي ترتديها هيوستن، نرى قطعة من صدره وقد التهب واحمرت كالنار ونقش الحرف A والذي يعنى فى حالته "زانى" كما يعنى فى حالة هيوستن "زانية".

إلى جانب تلك الأمثلة التي نرى من خلالها غياب المفهوم التاريخي في الترجمة العربية في حين أنه يوجد ماثلاً في النص الإنجليزي، أسوق مثلاً لعله يفوق سابقه في هذا الخصوص. في النص الإنجليزي نجد الفقرة التالية:

" It was time, at length , that I should other axercise other Faculties of my nature and nourish myself with For which I had apetite. Even Old inspector was desirable, as a change, as a change of diet to a man who ha Known Alcott"^(١٩)

وهي مترجمة إلى العربية على النحو التالي: " حان الوقت أخيراً لأمارس مواهبى الطبيعية الأخرى، ولأغذى نفسى بطعام لم أكن أميل إليه من قبل . حتى المفتش الهرم، فى حال كحالى، كان مرغوباً فيه كتغيير فى طعام رجل عرف الكوت^(٢٠) النص الإنجليزي يتحدث عن مرافقة هورثورن لأقطاب مدرسة الترانسندنتالية (التعالى) والعمل معهم فى مزرعة بروك، وهى مزرعة أقاموها لتكون مثلاً يحتذى للعالم العامل، وخسر فيها هورثورن ألف دولار أمريكى بعد أن عمل فيها عاماً ونصف العام إضافة إلى ذلك فقد تعرف على رالف وولدو إيمرسون. الذى ظهر اسمه فى الترجمة العربية تحت اسم "إمبرش"^(٢١). وأظن ذلك خطأ مطبعى. وتعرف أيضاً على إبرى تشاننج (١٨١٨ - ١٩٠١) والذى ظهر فى الترجمة العربية تحت اسم "إيميرى شاننج"^(٢٢) وأقول ثانية أن ذلك خطأ مطبعى. إذن لم يكن ما ذهب إليه هورثورن هو تغيير نوع طعام البطن الذى تعود عليه فترة طويلة. إنما هو تغيير طعام العقل وتغيير لصحته من أقطاب تلك المدرسة. إن تجربة هورثورن الفاشلة فى مزرعة بروك دفعته إلى أن يهز كتفيه لجميع مدارس التفكير الطوباوى^(٢٣)، وأخذ ينهج منهجه الخاص فى تقديم صورة فاضلة لعالم يخلو من الرذيلة والإثم. يقول هارى ليفين معلقاً على هذه الفقرة من

المقدمة: "بعد صحبة برونسون الكوت والترانسدنتالية فى أوج مراحلها غير العملية، رجب هورثورن بتغيير توجهاته (as a change of diet)^(٢٤) وصحيح أن الكلمة الإنجليزية تعنى طعام أو أكل لكن أحد معانيها الأخرى كما فى وبستر هو تجمع رسمى لأمرأ أو مسئولين وأظن هذا ما قصده هورثورن. حتى وإن بقيت الكلمة diet تعنى الأكل والطعام فهى تعنى اصطلاحاً أيضاً تغيير نمط معين من الأنماط، لا تغيير نوع الطعام كما هى فى الترجمة الحرفية للمصطلح. وهذه تدخلنا فى قضية أخرى من قضايا الترجمة ألا وهى ترجمة المصطلح وهذا ليس مكانها.

وبعد، فإن غياب المفهوم التاريخى فى النصوص المترجمة إلى اللغة العربية مشكلة لا تعوق عملية الترجمة ذاتها، لكنها تعوق فهم النص عند قرائته، أى أنها مشكلة من مشاكل المتلقى. ونحن ننشد الكمال عندما نريد حلها أو تصور حلول لها، ذلك أننا نريد أن نصل بالنص بالعربى إلى روعة وحيوية النص الإنجليزي كما فى المثال الذى معنا فى هذه الدراسة وهو من "الشارة القرمزية"، ومن الحلول التى أرى أنها قد تساعد فى حل هذه المشكلة ما يلى:

١ - كان على المترجمة - فى حالة "الشارة القرمزية" - إيراد شروح فى الهوامش لجميع الأسماء التى استخدمها هورثورن. وصحيح أن طبعة هارى ليفين ظهرت فى سنة ١٩٦٠ أى بعد ترجمة جاذبية صدقى بستين لكن - كان - على المترجمة أن تعنى بالمفهوم التاريخى للقصة ككل وللأحداث والأسماء على حدة.

٢ - نحن نعلم أن الهوامش غير مقبولة فى الأعمال الإبداعية كالقصة والمسرحية والقصيدة لكننا لسنا أمام عمل عادى. ومن ثم فإن الهامش يكون خياراً لمن يريد أن يقرأه من القراء، فهناك من يكتفى بقراءة النص ولا يعنيه ما فى الهامش، وهناك القارئ الذى يريد أن يلم بالصغيرة والكبيرة فى النص وما حوله فيقرأ الهامش.

٣ - كان على المترجمة، كبديل للهوامش، أن تبدأ ترجمتها بمقدمة تفصيلية تشرح فيها الجو التاريخى للقصة ومن خلاله تقدم للأسماء التى استخدمها هورثورن ومدلول ربط هذه الأسماء بأسماء تاريخية حقيقية كما رأينا فى هوامش هارى ليفين والتى علقنا على بعضها فى دراستنا هذه.

٤ - كبديل آخر للهامش كان باستطاعة المترجمة أن تورد قوسين عقب تقديم كل اسم لأول مرة تشرح فيه بعبارة، أو عدد من الكلمات، مدلول ذلك الاسم في التاريخ الأمريكى فى تلك الفقرة.

هوامش :

(١) ثنائيال هوثورن، "الشارة القرمزية"، ترجمة جاذبية صدقي (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨)، ص ٥٠، ٦٦ - ٦٧.

Nathaniel Hawthorne, *The Scarlet Letter*, ed. Harrey Levin (٢) (Boston : Houghton Mifflir Company, 1969), P. 1.

(٣) د. نذير العظمة، "هوثورن، الشارة القرمزية" في "بناء الأجيال" (دمشق : العدد الرابع، اكتوبر ١٩٩٢)، ص ٨٧.

(٤) المترجمة تقدم هذا الاسم إلي القارئ العربي علي نحو آخر هو "هستير براين" لأنه يكتب في الإنجليزية Prynne (ص ٧ من الترجمة العربية وما يليها) في جميع المواضع التي يرد فيها اسم هستير كاملاً.

(٥) "الشارة القرمزية"، مترجمة، ص ٦٨.

The Scarlet Letter, p. 1. (٦)

(٧) "الشارة القرمزية"، ص ١.

(٨) وترجمته "أعشاب من البيت القديم".

The Scarlet Letter, p. 111. (٩)

(١٠) "الشارة القرمزية"، ص ٢٤.

The Scarlet Letter, p. 50. (١١)

(١٢) "الشارة القرمزية"، ص ٧٢.

The Scarlet Letter., P. 51. (١٣)

Ibid., P. 65 (١٤)

Ibid p. 66 (١٥)

Ibid., p. 149. (١٦)

(١٧) عصر اليعاقبة يشير إلي الفترة التي حكم فيها جيمس الأول إنجلترا وهي من ١٦٠٣ إلي ١٦٢٥. ويسمي بها أدب تلك الفترة وخصوصاً المسرح.

ويسمى بها الاثاث والعمارة في تلك الفترة. وأصل التسمية يأتي من الكلمة جاكوباس في اللاتينية وهي تعني جيمس وشهدت هذه الفترة نهاية تفتح العصر الإليزابيثي علي الرغم من أن ادب السحرية والواقعية بدأ يزدهر. وشهد هذا العصر ولادة أهم أعمال شكسبير. كما كان جون صن وبن جونسون وفرانسيس بيكون في ذروة قدراتهم الإبداعية. وقد ظهر الملك جيمس في عام ١٦١١م.

Harry shaw, Dictionary of Literary Terms (New York : Mcgraw Hill Book Company, 1972), pp. 210 - 211.

Op. Cit., 126 (١٨)

Ibid., P. 28. (١٩)

(٢٠) "الشارة القرمزية"، ص ٤٥.

(٢١) السابق، ص ٤٤.

(٢٢) السابق، ص ٤٥.

Walter Blaiar, et. al. The literature of the United States - (٢٣)

(Chicago : Scott, Foresman and Company, 1957), PP. 350 ` 351.

تعريب العلوم .. وقضية الدولة

يعالج سعادة الدكتور الشاذلى القليبي فى مقالة الرائع "تعريب العلوم .. وقضية التنمية" الأهرام عدد ٣٩٢٢٣، بتاريخ ٢٧/٤/١٩٩٤ أسباب الإعراض عن تعريب العلوم واكتفاء علمائنا العرب باستخدام اللغات الأجنبية التى درسوا بها علومهم، ورغم أن الدكتور القليبي شخص تشخيصا علميا هذه الحالة إلا أن نتائجه كانت تقليدية، فقد عول على دور المؤسسات الحكومية، والمؤسسات التابعة لجامعة الدول العربية و المنبثقة عنها، وكذلك أهمية ألا نكتفى بالنقل عن العالم المتقدم بل نشارك فى الحركة العلمية العالمية .

حركة التعريب ليست حركة عشوائية، إنها نتاج دولة قوية. إن نقل العلوم إلى لغة ما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحال الدولة : اقتصاديا، وسياسياً، واجتماعياً، فحين نقل الفرنسيون العلوم إلى لغتهم كانت دولتهم قوية، وحين نقلها الألمان كانت دولتهم قوية، وحين دخل الأمريكيون المعترك العالمى بعد قيام دولتهم كان كل شئ بلغتهم التى أسموها : "اللغة الأمريكية " حتى أنهم نفوا أن تكون لغة التاج البريطانى هى لغتهم. وحال الدولة العربية حال بقية الدول، فحين كانت الدولة العربية قوية اقتصاديا، ومتماسكة جغرافيا، ومتلاحمة اجتماعيا كانت هناك حركة ترجمة وتعريب فرضتها حالة الدولة ولم تفرضها المراسيم.

إن الترجمة إلى العربية ظاهرة واكبت قوة الدولة العربية الإسلامية. فبيت الحكمة ودار الحكمة ومدرسة الألسن وحركة الترجمة فى مصر فى الستينيات أربعة أمثلة تفسر ما نذهب إليه من أن حركة الترجمة والتعريب لا تملى من أعلى، إنما هى نتاج حالة من حالات الدولة. فلو أنفق المأمون كل ما يملك فى دولته لما أنشأ بيت الحكمة التى حول المغول كتبه إلى جسر عبروا عليه نهر دجلة لولا وجود المترجمين الذين أوجدتهم الثقافة المزدهرة فى تلك الدولة. فهؤلاء المترجمون لم يتخرجوا من "بيت الحكمة" لكنهم هم الذين انشئوه وهذا يعنى أن المترجمين وجدوا قبل أن يأمر المأمون بإنشاء بيت الحكمة بعشرات السنين. لكن بيت الحكمة انتظمهم وأضفى على عملهم صفة الأكاديمية. ودار الحكمة القاهرية التى أنشأها الفاطميون فى مصر فى عهد المعتز بالله عام ٩٧٥ م كانت هى الأخرى مثالا ثانيا لقوة الدولة التى احتضنت العلماء والمترجمين والمؤلفين.

ومدرسة الألسن مثال أكثر وضوحاً على قوة الدولة وأثر ذلك فى الترجمة إلى العربية. فالتاريخ يقول إن محمد على باشا اختار الشيخ رفاعة الطهطاوى ليكون إمام البعثة العسكرية المصرية إلى فرنسا. إلا أن ذلك الشيخ، إضافة إلى عمله الجليل الذى قام به مع أعضاء البعثة، عاد إلينا بكتابه "تلخيص الإبريز فى زيارة باريز" ونحن نعلم ما أحدثه هذا الكتاب من جدل وما أضفى على حياتنا من رخم وما أسدى من تنوير ووصل بالغرب. وانتهى الأمر أن ينشئ الشيخ المعمم مدرسة الألسن التى احتضنت مرة أخرى المترجمين فى مصر والعالم الإسلامى وأخرجت الكتب المترجمة إلى العربية دون أن يكون للدولة دخل كبير فى إعداد هؤلاء المترجمين - كما نرى الآن - وهم الأساس فى كل حركة الترجمة. إضافة إلى ذلك، حركة الترجمة الهائلة فى الستينات فى مصر، ولست فى حاجة أن أعيد ما قلت سابقاً أن الاستقرار السياسى والاقتصادى والتماسك الاجتماعى هى العوامل التى أوجدت المترجمين الذين أثروا أنشطة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بترجمات شكسبير وغيرها مما يندر تكراره إلا إذا قويت مصر مرة أخرى وعادت إلى تلك الحالة الحضارية التى كانت عليها.

إن الترجمات التى أسهمت فى أى من جوانب حياتنا هى أعمال كلاسيكية بكل مضمون تلك الكلمة. وإننى أجد نفسى متفقاً مع الناقد الإنجليزي الشهير ت. إس. إليوت الذى يعرف فى إحدى مقالاته "الكلاسيكى" على أنه حالة من قوة الدولة ونبوغ الفرد وتأتى بعد ذلك الماديات، هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت كانت هناك أعمال كلاسيكية. لذا يبقى ما يذهب إليه الدكتور القليبي من التعويل على دور المنظمات الحكومية تعلقاً بأمل بعيد المنال. فهو يقول "وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين - أو أحياناً كليهما معا - فإن الحل المتاح أماننا هو أن نضم إمكاناتنا جميعاً حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها. ومسئولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تتفرع لها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدرون عليه. وحبذا لو تفرغت لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة

والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية فان ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانات العلمية والمادية المعتمدة، وعندئذ تزداد أهمية ما ندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم، لأن مجتمعاتنا لا تكون مقصورة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه بكل طاقاتها الفكرية والمادية". أمنية جميلة أشارك فيها سعادة الدكتور القليبي، وأتمنى أن تنتهى كما قال "وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة وإشعاع وكفاية، ولما كانت سيدة لغات رمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والاجتهاد الفلسفى، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفور به لتمسك بزمام مصيرها، وتدخل المحافل الأمية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال، لا فقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو منددة بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح، وعلى الأرض، وعلى الثروات. وهو عمل يستحق أن تضحي دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال ونفيس وأن تضمن له الوسائل اللازمة من تفرغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالغ الكافية للإحجاح خططهم واتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة".

أقول فى ذلك ما قال شوقى :

ظفر فى فم الأمانى حلو ليت لنا منه قلامة ظفر.

ولكن ألا يرى سعادة الدكتور القليبي أن حديثه عن "رصد المبالغ الكافية" يتناقض مع قاله فى نفس المقال عن التحديين اللذين تواجههما حركة التنمية فى عالمنا العربى ؟ حيث يقول : "التحدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليها دولة أوربية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالنا بدولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية. ويدخل فى هذا التحدى أيضا ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا، فضلا عن أقطار لا تزال فى أول مسيرتها الإنمائية". إن قوة لدولة تعنى قوة اقتصادها وبالتالي تعنى قوة نفوذها السياسى. ونحن نعرف جميعا أن اللغة الإنجليزية هى أكثر اللغات استخداما فى

العالم، ولكن الكل يعلم أن الإنجليزية الأمريكية هي الأكثر انتشاراً عند مقارنة انتشار اللهجات الإنجليزية، وذلك راجع أساساً إلى انتشار النفوذ السياسى والاقتصادى الأمريكيين، ولولاهما لما رأينا كلمات مثل "كافيتريا" و "وراديو" يتداولهما العامة والخاصة بجميع اللغات على مدار الساعة. إن ميزانية البحث العلمى فى بعض جامعاتنا تكاد تكون صفراً، كما أن بعض الميزانيات لا تتعدى مئات الجنيهات، فكيف نطلب من تلك الجامعات والمعاهد والهيئات الرسمية الأخرى أن تحقق ذلك المطلب الطموح الذى يصبو إليه كل عربى والذى عبر عنه سعادة الدكتور القليبي؟ لقد نشرت الصحف فى ٢٣ يناير ١٩٩٣ أن اليابانيين اخترعوا جهاز تليفون يستطيع أن يترجم من اليابانية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية حديث مستخدمى ذلك التليفون. وهذا الخبر إضافة إلى حقول الترجمة الآلية لا مثيل لها حتى الآن. ولكن هذه الإضافة أنفق فى عمل أبحاثها مائة وثمانية وعشرون مليون دولار أمريكى واستغرقت خمس سنوات من البحث الدؤوب والتجريب المضنى. ولى سؤال: كم تخصص دولنا لمشاريع الترجمة التقليدية كترجمة الكتب والدوريات والمراجع الأخرى؟ وبالطبع نحن لا نسأل كم خصصنا للترجمة الآلية أو كم خصصنا لوسائل اتصال أو ترجمة كذلك التليفون اليابانى المترجم العجيب؟

إن حالة الدولة التى تكلمنا عنها لا تنعكس فى قوة الاقتصاد فقط، لكنها تنعكس أيضاً فى حالة أبنائها النفسية. فالعالم الذى يلحن فى العربية ويتحجج بأنه درس فى الغرب لا يعكس حالته هو فقط إنما يعكس حالة أمة منهزمة. إنه يعكس حالة انكسار أمة بأكملها، إنه يعكس باختصار حالة نادرة من الدونية عن الغرب الذى تعلم فيه وعرف لغته. إن تمكن علمائنا من اللغات الأجنبية ولحנם فى اللغة العربية حالة فضامية لا يستطيع النفسيون علاجها لأن ذلك العلاج يستدعى تغييراً جذرياً شاملاً للمحيط العربى ككل. وأخطر ما يأتى به هؤلاء العلماء شعور عام يسود بين مثقفينا أن العربية ليست لغة صالحة للعلوم، حيث يقول د. القليبي: "ولا نرى من يستسهل الاعتراف بجهله فى أى حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية، وقد نرى من يعلن قلة درايته بقواعد اللغة العربية فى مثل التبجح، فيأتى اللحن ويراطن مخاطبيه فى شىء من الخيلاء. والانكى من كل ذلك أن

المجتمع العربى يبدو قابلاً لهذه المعاذير، ضارباً صفحاً عن المؤاخذه باللحن وأنواع الرطانات، كان لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يضيع وقته فى تحصيلها من له مسئولية سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه. ونجد أنفسنا فى موقف مؤسف نؤمن على ما ذهب إليه الدكتور القليبي رغم اعتقادنا أن العربية لا تقل قوة ورخماً عن اللغات الأوربية المعروفة، لكننا نحن أبناءها الذين أسأنا استخدامها، فمنها أخذ الغرب قديماً حين كان أسلافنا يجيدون استخدامها ويضيفون إليها. وإذا "كانت رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى النموذج الذى اقتبس منه دانتى فكتب رائعته الكوميديا الإلهية" [على شلق، رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، شرح وتحقيق (بيروت: دار القلم، ١٩٧٥)، ص ١٦] فإن الفضل فى ذلك يعود إلى ما كانت عليه حالة الدولة العربية وحال اللغة العربية، والفضل للترجمة من العربية إلى الإيطالية ذلك أنه تبين أخيراً أن قصة المعراج كان لها ترجمة إيطالية، ووجدت نسخ من هذه الترجمة فى أكسفورد وباريس والفاتيكان، وأغلب الظن أن دانتى اطلع على هذه الترجمة فوجهت فكره" [د. إبراهيم زكى خورشيد، الترجمة ومشكلاتها (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ص ٣٧].

الترجمة فى العالم العربى قامت على أكتاف أفراد لم ينتموا إلى أكاديميات معينة. وصحيح أن أكاديميات قد احتضنتهم فيما بعد، لكن بقى هؤلاء الأشخاص متميزين وكل منهم يمثل مدرسة بذاته. ولا بد أن يعود ذلك النمط من المترجمين إلى حياتنا كى تنتعش حركة الترجمة مرة أخرى. إن الدور الرسمى لن يسهم، فى الوقت الراهن، فى كثير لانتعاش حركة الترجمة. إن المطلوب الآن هو زيادة الصلة بين المترجمين وبعضهم البعض، وليكن هناك اتحاد أو رابطة تجمع شتاتهم ليتعارفوا فيما بينهم وفيما يمكن عمله. ولنبدأ من هنا، وفيما بعد يأتى دور المنظمات الرسمية والبروتوكولات القاتلة المتلونة بلون أنظمتنا المتعددة.

عناني وفن الترجمة (*)

سعدت كثيراً بقراءة كتاب الأستاذ الدكتور محمد عناني "فن الترجمة" (١٩٩٢) الصادر عن الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، في طبعته الأولى. وقد أعقب صدور ذلك الكتاب القيم مقالات، وتعليقات كثيرة كان غالبها مادحاً وقل أن يكون بينها قاذحاً، وغلبت على تلك الآراء صفة المجاملة التي أفسدت الكثير في حياتنا الثقافية.

وكتاب الدكتور عناني لا يحتاج إلى مزيد من المدح كما أن الرجل ليس في حاجة إلى مجاملة من أحد، إنما يحتاج إن يُنقد ويُدرس بعناية ليُعطى حقه ومكانته في هذا المجال الفريد ألا وهو الكتابة عن الترجمة. وبداية يعلن الدكتور عناني أن الترجمة "فن" وذلك واضح جلي من عنوان الكتاب "فن الترجمة" وبذا فهو يذهب مع من يذهبون إلى وضع الترجمة ضمن الفنون وليس مع من يضعونها ضمن العلوم. وينقسم الكتاب إلى ستة فصول غير متساوية: الأول يتحدث عن الألفاظ (ثلاث وعشرون صفحة) وتناولها من مجردات عامة، إلى مجردات حديثة، إلى مجسّدات إلى المختصرات؛ الفصل الثاني (تسع عشرة صفحة) يتناول التركيب ويناقش الحال والتفضيل والأفعال مع الأدوات. الفصل الثالث (إحدى وثلاثون صفحة) ويتناول بناء الجملة ويناقش المبنى للمجهول والتحميل والجمل المركبة وبعض خصائص العربية، الفصل الرابع (خمس عشرة صفحة) ويتناول الصفات؛ الفصل الخامس (ثمان وعشرون صفحة) ويتناول التراكيب الاصطلاحية حيث يناقش المصطلح والتعبير الاطلاحي والصياغة، أما الفصل السادس وهو أكبر الفصول (ثمان وثلاثون صفحة) فيتناول ترجمة الشعر ومشاكله، ثم ثبت بسيط للمراجع في خمس صفحات. والكتاب من القطع الصغير.

يعلن الدكتور عناني بكل تواضع في مقدمته أنه لا يهدف أن يكون كتابه هذا "مرجعاً" (حاشا لله)، ولا أن يكون دليلاً عملياً manual، ولكنه يتضمن بعض حصائد التجارب التي مر بها دارس مارس الترجمة على مدى عقود ثلاثة، تصدى فيها لشتى ألوان النصوص، في مجالات كثيرة، وأحس أن لديه بعض الآراء التي

(*) نشر في حلقتين بجريدة الرياض العددين ٩٦٣٥، ٩٦٤٢ يومي ١٠ نوفمبر، ١٧ نوفمبر ١٩٩٤م.

قد يستفيد منها البعض، وهى آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية " (عناني: المقدمة) وهذا تواضع لا يلمسه الناقد إلا فى العلماء. وعلى عكس ما يقيم عناني به كتابة نقول إن هذا الكتاب يعتبر مرجعاً فريداً فى الترجمة لأنه باستخدام كلمات المؤلف مجموعة " آراء فى صلب عملية الترجمة لافى النظرية " وهو بهذا يفوق كتباً أخرى كتبت عن الترجمة كانت تتولى دراسة النظرية المنقولة عن الغربيين فقط دون الخوض فى التفاصيل العملية التى لا تتسنى إلا لمن يتناول نصوصاً بعينها.

ونحن نميل إلى تصنيف الترجمة كفن إنسانى راقى، لا كعلم جامد جاف كالرياضيات مثلاً. فهى فن بكل ما وسعت تلك الكلمة من شاعرية وإبداع وموهبة أيضاً، ولذا أجدنى أتفق مع مذهب الدكتور عناني إلى أن المترجم "كاتب، أى أن عمله هو صوغ الأفكار فى كلمات موجهة إلى قارئ. والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل هو أن الأفكار التى يصوغها ليست أفكاره، بل أفكار سواء. ومن الغريب أن يكون هذا الفارق مدعاة للحط من شأن المترجم فى بلادنا، على ما فى الكتابة بالعربية من صعوبة تثنى الكثيرين عن محاولتها، فأنا أرى أن نقل أفكار الغير أعسر من التعبير عن آراء المرء الأصلية؛ فالكاتب الذى يصوغ أفكاره الخاصة يتمتع بالحرية فى تطويع اللغة لتلائم هذه الأفكار، بل وتطويع الأفكار لتلائم اللغة". (عناني: ٥ - ٦) كما أن الترجمة عند عناني "فن تطبيقي، وأنا استخدم كلمة فن بالمعنى العام، أى الحرفة التى لا تتأتى إلا بالدربة والمران والممارسة استناداً إلى موهبة، وربما كانت لها جوانب جمالية، بل ربما كانت لها جوانب إبداعية. ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأستاذ فى اللغة أو فى الأدب أو فى كليهما، أياً كان حظه من العلم بالإنجليزية أو بالعربية (بل أياً كان حظه من العلم بنظريات اللغة) أن يخرج لنا نصاً مقبولاً مترجماً عن إحدى اللغتين دون ممارسة طويلة للترجمة". (عناني: ٢) ولا يرى المؤلف أن كتب نايدا ونيومارك من غير العرب وكذلك كتب العرب من أمثال محمد عبد الغنى وصفاء خلوصى وإبراهيم ركى خورشيد كافية لأن تقدم لنا مترجماً ذا شأن إن هو عكف على دراستها والإلمام بما فيها.

وبقدر ما سعدت لمطالعة هذا الكتاب الجيد، الذى هو خلاصة خبرة ثلاثين عاماً فى مكابدة النصوص، فإننى أرجو أن يتسع صدر أستاذنا لبعض النقاط التى أود مناقشتها هنا، وهى:

١ - حتى نهاية الفصل الخامس لا يذكر المؤلف مصادر ترجمة النصوص المستخدمة فى الأمثلة التى يوردها، كما أنه لا يوضح ما إذا كانت الترجمة العربية ترجمته هو أم أنه ينقلها من نصوص منشورة يمكن الاستدلال عليها. لأنه فى حال ما إذا كان يعطى ترجمته هو فالحكم هنا يكاد يكون شخصياً بحثاً كما فى صفحة ٥٦، والصفحات ٧٨ - ٧٩ حيث نرى أن الإفراط فى استخدام التحويل - كحيلة ترجمة - أفسد الترجمة كثيراً.

٢ - استخدام الأقواس والبدايل فى الترجمة أمر غير مقبول من المترجم فكيف نعتمده فى كتاب يقول مؤلفه فى المقدمة إنه تعليمى. واستخدام البدايل والأقواس تكرر فى عديد من الصفحات؛ فصفحة ٤٤ بها ثلاثة أمثلة وهى: " وبعد أن قتل الثوار أعداءهم بالمقصلة، (دار الزمان) فقتلوا هم أنفسهم بها " و " رأى ثلاثة شبان يرتدون سراويل فضفاضة على آخر موضة، وهم يحدقون فى فتاة ترتدى رداء ملتصقا بالجسم (والأرجح أنها سراويل) وعلى كتفها عباءة (كاب) واسعة ". وفى صفحة ٤٩ مثال آخر للبدايل " همست بنبرات ودودة. (أو تنم عن حبها) ". أما صفحة ٥٥ ففيها خمسة أمثلة على ذلك وهى: " لقد أصبحت المسرحيات الكلاسيكية التى يقدمها المسرح القومى (محدودة) أو قليلة العدد " ويشير المؤلف جداراً فى نصف صفحة تقريباً حول ترجمة هذه الجملة.

"His extremely Limited Knowledge of agriculture was an anomaly ridiculed by farmers , ..."

حيث يقول " فلا بد أن تتحاشى هنا كلمة "محدودة" وإلا خرجت ترجمتك ركيكة، والأفضل تقسيم هذه العبارة إلى عبارتين هكذا:

١ - كانت معرفته بالزراعة بالغة الضآلة (ضئيلة إلى درجة بالغة) وكانت هذه من الغرائب (المفارقات) التى أثارت سخرية (استهزاء) المزارعين الذى [هكذا فى نص عنانى وأظنها خطأ مطبعى وصحته الذين] يعملون لديه.

٢- لم يكن يعرف عن الزراعة إلا أقل القليل ، وكانت تلك مفارقة ، جعلت المزارعين (الذين استأجرهم) يضحكون منه " . (عناني : ٥٥) ألا يمكن قبول الصيغة العربية التالية لتلك الجملة الانجليزية : " كانت معرفته المتناهية الضالة بالزراعة مفارقة لأن يضحك منه مزارعوه " ومعروف أن المزارعين هنا مستأجرون ومعروف أنه هو مالك الأرض والسيد المطاع ، لذا فإن استخدام الأقواس والتدخلات لم يؤد غرضاً مفيداً في الترجمة . ومثال آخر لاستخدام الأقواس نراه في صفحة ٥٦ حيث يقدم ترجمة لنص على النحو التالي :

" سحرته أمانة المكتبة الشابة بأدبها وانضباطها (في العمل) ، . . " والنص الانجليزي يقول : "Charmed by the disciplined manner of the young L.A."

وكذلك في صفحة ٥٩ : في السراء والضراء (في الحلوة والمرارة) حتى يفرق بيننا الموت " وهي ترجمة للمثل الانجليزي :

"For better or for worse till death us do part"

ونجد الأقواس والبدايل في الترجمة في صفحات أخرى ؛ ففي صفحة ٦٢ مثالان ، و صفحة ١٠٦ مثالان ، ومثال في صفحة ٦٩ ، وآخر في صفحة ٧٠ .

٣- رغم أن المؤلف يخصص الفصل الخامس لتناول التراكيب الاصطلاحية في اللغة الانجليزية وكيفية ترجمتها إلى العربية ، إلا أنه يقع في خطأ الخلط بين الاستخدام الاصطلاحي والاستخدام اللفظي كما في صفحة ٦١ حيث كلمتي ar- reach و rive مفردتان لفظيتان أما get to / get at وما شابههما استخدامات اصطلاحية لها معايير تضبطها .

٤- في الصفحات ٩٩- ١٢٠ ترجم المؤلف الفعل Surrendered إلى "استسلمت" وتصرف فترجمها " ازدادت جرعة المبالغات الميلودرامية في المسرحية " ، والنص يقول :

"As broad Farce surrendered to cloying melodrama with its Filful bouts of frenzied shouting" لكنه لم يرتح للترجمة الأولى و اعتبرها محيرة للقارئ أما الثانية فاستحسنها وأبقاها . والواقع أن فعل surrendered هنا يعنى تحولت إلى وتكون ترجمة النص : عندما تحولت الميلودراما إلى فقاموس Thesaurus

يضع كلمة *relinquish* مباشرة بعد *Surrender* وهى بهذا السياق تعنى التخلي عن شئ ما والاتجاه شئ آخر بديلاً عنه كما فى *Longman Dictionary of Contemporary English* لذا فإن ترجمة *Surrendered* "تحولت إلى..." تكون موفقة - رغم التوسعة التى أضيفت إلى معانيها الأصلية - أكثر من الترجمة بتصرف التى استخدمها د. عنانى، أو كان عليه أن يبقى على الترجمة الحرفية "استسلمت إلى..." حفاظاً على روح النص. وللعربية أن تقبل مفردات غريبة كهذه، وهذا ما يذهب إليه د. عنانى نفسه فى آخر كتابه.

٥ - وثمة خطأ مشابه وقع عند التصرف فى الترجمة كما نرى فى الصفحات ١٠٢ - ١٠٥، حيث النص الإنجليزى يقول:

"...Which wreaks havoc with your digestion the following morning",

فقد ترجمه عنانى "إذا تكتشف فى الصباح أنه قد دمر جهازك الهضمى دماراً شاملاً". وفى *Webster* فإن فعل *Wreak* يعنى *Cause / bring about* وهناك معانى أخرى بمعنى *avenge* ولكنها على شدتها لا تصل إلى المعنى الذى تصرف فيه المؤلف. ويحس د. عنانى أن ترجمته جانبت النص الأصلى حيث يقول "لقد طالت الترجمة بعض الشئ، وربما كانت تختلف فى بعض الأماكن عن النص الإنجليزى - ولكن الخلاف لا يضيف ولا ينقص شيئاً من المعنى" (عناني: ١٠٥) ولنا الحق أن نختلف مع المؤلف فيما ذهب إليه. فصحيح أن النص العربى يجب أن يكون مقبولاً بعد ترجمته ولكن إلى حد لا يفسد روح النص الأصلى وهذا بالطبع أساس جميع مشكلات الترجمة إلى العربية - لكن ذلك لا يعطى المترجم مسوغاً ليكون النص المنقول إلى العربية فضفاضاً، والأفضل أن نقطع من الثوب العربى ما يناسب فقط المفردة الإنجليزية.

٦ - عندما يتناول المؤلف ترجمة التعبير الاصطلاحي من الإنجليزية إلى العربية كما فى الصفحات ١٢٠ - ١٢٥ فإنه يقع فى خطأين. الأول: وهو الترجمة بتصرف غير عادى مما يجعل النص العربى فضفاضاً إذا ما قورن بالنص الإنجليزى أما الخطأ الثانى: فهو خطأ فادح؛ فإنه يترجم النص الإنجليزى إلى عربية عامية مصرية. وهو فى هذا يعيدنا إلى جدال حضارى لغوى قديم.

فالاتصال الثقافي الحضارى واللغوى عن طريق الترجمة هدفه الاسمى هو الارتقاء بحضارتنا إلى أعلى وليس الهبوط بها إلى إقليمية متعجرفة مستغطرة، وذلك عن طريق اعتماد العاميات العربية كلغات رسمية ننشر بها أعمالنا سواء كانت مترجمة أو مؤلفة. لذا أجد الحكم النهائى للدكتور عنانى حكم جائر على اللسان العربى عموماً حيث يقول : " والمشكلة فى رأى لاحل لها فى الفصحى؛ فالحوار فى الإنجليزية ينبغى أن يترجم إلى حوار حى بالعربية أى العامية، ولو اقتضى ذلك إخراج ترجمة له فى كل بلد عربى باللهجة الدارجة له ". (عنانى: ١٢٥) وذلك يعنى أن النص الذى يورده عنانى قد يترجم بما يزيد عن مائة لغة عربية. فاللغة العربية الحية فى نظر المؤلف هى العامية فقط، وكأن ما خالف العامية ميت لاهياة فيه. ومن ثم فيجب إعادة النظر فى حواريات الجاحظ فى البخلاء لأنها كتبت بالفصحى. ونقطة أخرى، هل صحيح أن النص الإنجليزى كتب بعامية دارجة كى يترجم إلى عربية عامية كما يرى المؤلف؟ ولنضع فقرات من التصبين لنرى هل هذا صحيح أم لا:

A : It may be just misplaced. Have you Looketd everywhere.

B : It is not to be found anywhere...definitely lost;

وترجمة عنانى:

أ - لا يا شيخ. . يمكن بس منظور هنا والا هنا . . دورت عليه كويس؟

ب - فص ملح وداب. . ضاع يعنى!

وأظن أن هذا النص لوقرى فى الشام، مثلاً، لاحتاج القارئ السورى إلى ترجمة عربية توضح له معنى "منطور" المصرية فهى تعنى فى الشام " الذى عليه حراسة من قبل الأمن " فهم يقولون "ناطور" بمعنى حارس والنواطير صيغة جمع منها. ولا أدرى هل يفهم هذا النص فى المغرب أو اليمن أو الجزيرة. صحيح أن اللهجة المصرية متسيدة فى العالم العربى بفضل الأفلام والمسرحيات والأغاني ومدى انتشارها لكننا بصدد نصوص مكتوبة، لذا فبيت القصيد هو الفصحى

ودرجاتها وليس العامية الدارجة وما يمكن أن تكون عليه من تشعب وتشردم وانكفاء على الذات . ومثال آخر:

B : Well, will you have some coffee?

A : I don't mind if I do , actually.

B : Ritght ; See if there's any left.

(عناني : ١٢٢)

وترجمة عناني المقترحة :

ب - ولا يهكم . . تشرب قهوة؟

أ - ماعنديش مانع فى الحقيقة . .

ب - ماشى . . أظن فاضل شوية فى البراد . . (عناني : ١٢٥)

وأعود إلى محلية العربية العامية فأقول أن كلمة " ماشى " التى يطرحها د. عناني تعنى إذا ما نطقت مع تشديد الشين " لاشىء " فى الجزيرة والخليج، كما أن كلمة " براد " تعنى فى الشام " الثلاجة " ونسمع عن البرادات أى الحاويات المبردة، لذا فإن اعتماد العامية وسطاً للترجمة إساءة إلى عربيتنا وإلى فكرنا ويجب ألا نبتناه كاسلوب للنقل عن الآخرين حتى ولو كان فى الحواريات، لأن الحوار الذى تكتب به الإنجليزية قد يكون فى بعضه عامياً ولكن هذه مشكلة أهل الإنجليزية ولا يجب أن نقلدهم فيها. ولا أعتقد أن إحالة القارئ إلى كتاب السعيد البدوى تعطى د. عناني الحق فى تبني العامية وسطاً فى الترجمة. وما يذهب إليه السعيد بدوى هو رأى فقط .

٧ - يشير د. عناني قضية نادراً ما نسمع عنها، ألا وهى " علمية اللغة الإنجليزية المعاصرة ". فقد صمت آذاننا من أن اللغة الإنجليزية لغة علمية أما العربية فهى دون ذلك وأمامها شوط كبير حتى ترقى إلى الإنجليزية العلمية. والواقع أن اللغة وسط للتعبير عن الأفكار والمشاعر وبالتالي فإنها تتلون بأفكار ومشاعر مستخدمها عربياً كان أو إنجليزياً. لذا أجد نفسى متفقاً تماماً مع ما ذهب إليه د. عناني فى مقولته عن علمية الإنجليزية : " . . وما هى كذلك؛ فهى لا تقدم الحقائق الخالصة، ولكنها تترجمها بالإعراب عن المواقف، وتلونها بوجهات النظر، بل وتضمينها مشاعر كثيراً ما تبرز إلى السطح، ولقد تعلمت بعد الممارسة الطويلة أن المترجم مطالب فى المقام الأول بإخراج المعنى كاملاً غير منقوص، فإذا كان المعنى

يتضمن موقفاً أو وجهة نظر أو مشاعر فلا بد من إخراج ذلك أيضاً؛ فمشكلة المترجم الأولى تظل إدراك المعنى الكامل ونقله بأمانة". (عنانى : ١٣٢) وهذا يعطى المترجم الحق فى أن يكون حريصاً" ألا ينقل نقلاً أعمى عن النص الأجنبى . ويناقش عنانى آراء Hindle التى توضح العيوب الأسلوبية فى الإنجليزية المعاصرة، ومنها: " المبنى للمجهول الزائف، واستخدام الأسماء بدلاً من الأفعال؛ والغموض وينبع من عدم الحرص فى الصياغة. وأنواعه كثيرة، منها إساءة فهم معنى الكلمة المستخدمة، أو استخدامها فى المعنى القاموسى بدلاً من الشائع أو العكس. . والحق أن هذا العيب - أى إساءة استخدام الكلمة فى النص الإنجليزى - يوقع المترجم فى حيرة : هل عليه أن يلتزم بما أمامه أم ينفذ إلى ما يعنيه الكاتب، أو إلى ما يتصور أنه يعنيه؟ القاعدة العامة هى الالتزام بما أمامه إن كان معنى الكلمة هو سبب المشكلة، فهذا وزر يتحملة الكاتب وحده ، أما إذا كان الغموض يرجع إلى التركيب، ويدل على إهمال واضح من الكاتب، فلن يغفر القارئ للمترجم غموضه. . وثالث هذه العيوب هو ما يسميه هندل بالحدس Cramming ، أى محاولة إدراج أكبر قدر من الأفكار فى جملة واحدة أو فقرة واحدة. . " . (عنانى: ١٣٢ - ١٤٤) وهذه من الأسباب التى أدت إلى نقل بعض من الرطانة الإنجليزية إلى اللغة العربية المعاصرة وذلك مما يؤثر سلباً على العربية. إن معالجة د. عنانى لهذه القضية معالجة فريدة من نوعها ودفاع قوى عن عربيتنا يعكس حرصاً قوياً على لغتنا القومية ولست أدري سبباً لتبنيه العامية الدارجة وسطاً للترجمة كما ناقشنا منذ قليل.

٨ - ثمة خلط كثير للأوراق فى عالمنا الثقافى بدأ منذ زمن طويل يقول إن المترجمين يقسمون إلى مترجم أدبى واقتصادى وثالث عسكري ورابع فنى وخامس سينمائى إلى آخر القائمة مما يوسع رقعة الخلط التى نتكلم عنها . ولقد تعرضت لمساوئ هذا الخلط عندما ترجمت لشركة فورد، فقليل لى أنت مترجم أدبى؛ وعندما عملت فى الترجمة فى المجال الطبى قيل لى أنت مترجم أدبى وفنى ولن تفلح فى المجال الطبى، وكانت تلك أوهاماً تعشش فى رأس قائلها. فالمترجم الكفاء هو الذى يجيد الإنجليزية والعربية معاً ويستطيع بعد ذلك أن يوسع دائرة معرفة من الطب إلى الهندسة والتكنولوجيا مروراً بالسياسة والفكر والاقتصاد. لذا

أجدنى أتفق قلباً وقالياً مع الدكتور عنانى فيما ذهب إليه من عدم وجود لغة أدبية وأخرى سياسية وثالثة اقتصادية، وينتهى إلى القول " بأن تصور وجود لغة خاصة بالأدب وهم كبير، فاللغة واحدة، ولكن الأديب يستخدمها بطرائق وأساليب خاصة؛ مما يلقى بأعباء إضافية على كاهل المترجم وأوضح مجال أدبى تتبدى فيه هذه الأعباء هو الشعر،... ". (عنانى : ١٤٥).

٩- أجد الفصل السادس : ترجمة الشعر، هو أكثر الفصول حيوية فى كتاب د. عنانى. فقد أبدع فعلاً فى هذا الفصل. فنحن أمام شاعر جيد القريحة له باع طويل فى قرض و ترجمة الشعر موروثاً ومرسلاً. ويستعرض فى بداية مناقشته لترجمة الشعر آراء جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) فى الترجمة الأدبية وهى فى ثلاثة مذاهب " الأول هو النقل الحرفى للألفاظ فى سياقها الأسمى، meta phrase، أى الترجمة الحرفية. والثانى هو نقل المعانى فحسب، بغض النظر عن نسق الجملة أو انتظام الكلمات فى العبارة، وما لهذا من دلالات؛ وهو ما يسميه Paraphrase والثالث هو إعادة سبك العبارات بل القصيدة كلها إذا اقتضى الأمر بحيث يستطيع تقديم المثل أو البديل للعمل الأسمى باللغة المترجم إليها. وهو يطلق على هذا الاصطلاح imitation أو المحاكاة، أى محاكاة الشاعر فيما فعل من وزن وقواف وصور ومعان. وهذا فى رأى أصلح المناهج للترجمة الأدبية ". (عنانى : ١٤٧) ولست أدري لماذا لم يتعرض عنانى لآراء ماثيو أرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨) فى مناقشته الشهيرة لترجمة هوميروس *On Translaing Homer* ففيها عن الترجمة والمترجم فى هذا الصدد ما يكفى ويزيد. وقد يكون ذلك موضوع حديث لاحق. ومن أهم ما ينتهى إليه د. عنانى أن المترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضاً ". (عنانى . ١٥٢) وهذا ما يبرر قبول ترجمة فطينة النائب للسونية ١٨ لشكسبير كأحسن ترجمة مفضلاً إياها عن ترجمته هو شخصياً وترجمة حسين دباغ. وهذا الحكم فى حد ذاته يعطى الأمل فى ترجمة جميع الأشعار من اللغات الأخرى الى العربية بنفس الروح الموجودة فى تلك اللغات. وأظن أن تجربة الشاعر أحمد رامى فى ترجمة رباعيات الخيام (عن الفارسية) شعراً كانت مثلاً أكثر وضوحاً ودلالة على ما ذهب إليه عنانى من أن المترجم الصادق هو الأديب الصادق أيضاً.

١٠ - وإذا كانت اللغة الحية هي التي تكتسب مفردات جديدة لتحياء، فإن اللغة العربية في أيدي أبنائها مطالبة ببذل الجهد لكسب مفردات جديدة تضاف إليها. ولقد أثار د. عناني هذه القضية في كتابه موضحاً أن القرآن الكريم، وهو أقدس وعاء للغة العربية، قد أعطانا الرخصة في أن نعرب من اللغات الأخرى، "فاللغة العربية ذات قدرة فائقة على تطويع الغريب وقبوله وإحلاله محلاً عربياً لا شك فيه. ويكفى أن ننظر إلى الكلمات الفارسية التي استخدمها القرآن الكريم نفسه، مثل السندس والإستبرق والسراوق والنمارق، وما إليها. إن وجود هذه الكلمات تصریح رباني لنا بتعريب الكلمات التي نحتاج إليها في لغتنا العربية، أو قل هي الرخصة التي لا ينبغي أن يجادل فيها أحد. وكثيراً ما أعجب للذي ينفر من كلمة 'الميدان' باعتبارها فارسية الأصل مفضلاً عليها كلمة 'الحقل' على حين يكتب في آخر كتابه 'فهرساً' وهي أيضاً فارسية الأصل. (عناني : ١٧٩) وراد عجبى شخصياً أستاذ فاضل مهتم بالترجمة يعتب على العربية أنها لم تجد ترجمات للأوكسجين والهيدروجين والكربون، وجادلته يومها أن هذه الكلمات وجدت في جميع لغات العالم كما هي في الأصل الإغريقي والفرنسي واللاتيني بالترتيب فلماذا تكون العربية فقط مطالبة بأن توجد لها ترجمة عربية مقابلة؟

١١ - ويقدم د. عناني مناقشة جريئة لقضية الخيانة والأمانة في الترجمة؛ فهو يرى أن مقاييس العصر وأطره ومفاهيمه هي التي تتحكم في مفهوم النص المترجم وليس دقة اللفظة التي يأتي بها المترجم ليقدم بها النص العربي إلى قارئه. " . . . فالذي يلتزم بالعرف في عصر ما أو ما اصطلاح عليه من أعراف في عصر ما يعتبر أميناً. ولكن أمانته محكومة بعصره؛ إذ قد تتغير الأعراف في عصر لاحق فتصبح ترجمته غير مفهومة للجمهور، ويعتبر خائناً للنص بمقياس العصر الجديد. ولذلك فنحن نقرأ ترجمات السلف عن اليونانية مثلاً فنرى بعضها خائناً وقد كان أميناً في عصره. بل أننا نقرأ ترجمات لرواد الأدب في الجيل الماضي، فنعتبر بعضها خائناً، وقد كان ناجحاً وأميناً على النص في أيامه. وإنني لأعجب ما يقول أولئك المترجمون الأوائل إذا بعث أحد منهم وقرأ في صحفنا عن الأمن الغذائي، أو عن سياسة الانفتاح، أو عن التوسع الأفقى في الزراعة والتوسع الرأسى، . . . " (عناني : ١٨١).

إن هذه الملاحظات مجرد خلاف أو اتفاق فى الرأى فقط ، لكنها لا تقلل من قيمة هذا العمل شيئاً. فكتاب الأستاذ الدكتور محمد عنانى مرجع قيم لدارس الترجمة وكذلك لمحترف العمل فيها أياً كان "ميدان" الترجمة الذى يعمل فيه . وإن جرأة الآراء التى قدمها المؤلف تجعل من هذا العمل مرجعاً فريداً فى حقل الترجمة التى يعتبر عدد الكتب المرجعية فيها قليل .

وظيفة الترجمة (*)

لن نختلف كثيراً حول تحديد وظائف الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقد نجمل فنقول إن وظيفة الترجمة الرئيسية هي نقل ما لدى الآخرين إلينا كي نستطيع الاستفادة من تجربتهم، وبذا نستطيع تحديث ما لدينا من خلال عملية المعاصرة التي تلعب الترجمة الدور الرئيسى فيها. لذا وجب أن تتوفر فى النصوص المترجمة إلى العربية بعض العناصر التى تؤدى الى تحديث ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصوص، وبنفس القدر مسحة من المعاصرة.

وأمامى خمسة كتب مترجمة كلها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وأقدمها للقارئ حسب ظهور طبعتها الأولى فى اللغة الإنجليزية الأولى: هو "التميز: المهبة والقيادة *Excellence: Talent and Leadership* تأليف جون دبليو جاردنر، وترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٦١م. الثانى: "بلاغة الفن القصصى *The Rhetoric of Fiction* تأليف بروفيسور وين بوث، ترجمة د. أحمد خليل عرادات ود على الغامدى (الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤)، وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٦١. الثالث: التعليم العالى فى مجتمع متعلم *Higher Education in a Learning Society* تأليف جيرولد آيسن، وترجمة د. شحده فارح (عمّان: دار البشير ١٩٩١) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٨. الرابع: "معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها إدارته *Helping Adults Learn: A guide to Planning, Implementing, and Conducting Programs* تأليف آلان نويس، ترجمة د. محمود رضوان (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر لمعرفة والثقافة العالمية ١٩٩٣) وظهرت طبعته الأولى بالإنجليزية عام ١٩٨٦. أما الكتاب الخامس: فهو "إسكالنتى: أفضل المعلمين فى أمريكا *Escalante: The Best Teacher in America* تأليف جاى ماثيوز، تدقيق وتحرير د. فاروق منصور (عمّان: مركز الكتب الاردنى ١٩٩٠) وظهرت طبعته الأولى باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٨.

(*) نشر بالملاحق الأدبى لجريدة الرياض ، عدد ٩٧٠٥ ، ١٩ يناير ١٩٩٥ .

ومن مقارنة تاريخي الطبعة الأولى في الإنجليزية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربية، يمكننا القول إن الكتابين الأولين وهما " التميز : الموهبة والقيادة ؛ وكذلك " بلاغة الفن القصصى " - رغم اختلاف الحقلين اللذين يتناولاهما - قد أخلا بالفرضية الأساسية التي يبنى عليها هذا المقال وهي تحديث الموجود العربى من خلال ربطه بما هو معاصر لدى الفكر الأجنبى، ونحن نطمح إلى معاصرة مماثلة وليس تحديثاً فقط، ولكن الظاهرة لابد أن نتخلف بعض الوقت أو حتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم معاصراً بينما هو جديد حديث لدينا، والمعاصر بن اليوم، أما الحديث الجديد الذى نقصده فهو بين عشرين أو أربعين سنة مضت، لذا أرانى أعجب من الدهشة التى استولت على مترجم كتاب " التميز : الموهبة والقيادة " عند شروعه فى ترجمة هذا الكتاب "... ولم أكد أشرع فى قراءته، وأمضى بين سطوره حتى أخذتنى الدهشة ... أترانى أقرأ كتاباً عن المجتمع المصرى كتب باللغة الإنجليزية؟ " (جاردنر : ١٣) . نعم، إن مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ م وقت صدور الكتاب فى طبعته الإنجليزية، هى نفس مشاكل المجتمع المصرى عند صدور الكتاب باللغة العربية عام ١٩٨٩ . ولا ينتبه المترجم إلى تلك الهوية الزمنية التى تفصل بين الكتاب وترجمته، وتغير نوعية المشاكل فى مجتمع دائم التقلب والتغير مثل المجتمع الأمريكى، وهو لا يرى أى غضاضة أن تكون أحوالنا اليوم هى أحوالهم منذ سبع وعشرين سنة مضت . ويستمر د . رضوان فى دهشته ليقول " قد يبدو هذا القول غريباً، ولكنها الحقيقة التى لا مبالغة فيها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والإدارية والتعليمية المثارة - وكلها مستقاة من المجتمع الأمريكى - هى - تقريباً القضايا والمشكلات التى نواجهها فى مجتمعنا المصرى " (المرجع السابق، نفس الصفحة) وهذا صحيح، ولكن هل مشاكل الشباب الأمريكى مارالت هى نفسها مشاكله عام ١٩٦١ ؟ وأظن الإجابة لا . وهذا ما ينفى عن هذا الكتاب صفة أن يسهم فى تحديث ومعاصرة الفكر الاجتماعى والتعليمى والإدارى فى مصر، وعلى العكس فإنه يضعنا تحت تأثير وهم وهو أن الشباب الأمريكى اليوم هم الذين نراهم فى صفحات هذا الكتاب، الذى لا نقلل من علميته أو موثوقيته، لكن قياسنا هنا : إلى أى مدى يمكن أن يوجد هذا العمل تفاعلاً تحديثياً بين ما يقع فى أمريكا وما يقع مصر؟

لكن أن يتناول الكتاب مشاكل الشباب الأمريكي عام ١٩٦١ فهذا جزء من تاريخ علم الاجتماع أو الإدارة أو التعليم وليس عاملاً حافزاً لحل مشاكلنا اليوم. إن مشاكل الشباب المصري اليوم تكاد تكون في معظمها هي نفسها مشاكل الشباب الأمريكي اليوم أيضاً في نهاية عام ١٩٩٤ : البطالة؛ تدهور القيم الأخلاقية؛ تدهور المستوى التعليمي؛ غياب القدوة؛ عدم الثقة في المستقبل؛ التطرف الديني وليس أدل من ذلك على وجود ١٦٠٠ محطة إذاعة وتلفزيون مخصصة لبث البرامج الدينية التي تتراوح في جدها وهزلها، وما ظهور أدياء النبوة مثل قورش إلا مثال ثان على التطرف الديني. وكان أجدى بالترجم والدار الدولية للنشر والتوزيع لو تناولوا أحد الكتب التي تتناول التطرف الديني في أمريكا مثلاً، أو أحد الكتب التي تتكلم عن الإدمان والانحراف عموماً. أما الإيهام بأن مشاكل الشباب الأمريكي عام ١٩٦١ هي نفس مشاكلنا اليوم فهذا غير مقبول وإن كان درس التاريخ يسوغ المعرفة به. إن الفصل السابع عشر من كتاب "التميز : الموهبة والقيادة" هو إعادة صياغة لأفكار مائيسو آرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨) في راعته "الثقافة والفوضى" (١٨٦٩) والذي خصص فيها فصلاً تحت عنوان "أن نفعل كما نحب" ويخلص فيه أن للحرية ضابطاً وقوانيناً إن لم نلتزم بها أصبحت كعدمها. يقول جاردنر، مؤلف كتاب "التميز" في الفصل السابع عشر "إن علينا أن نهب - في حرية - ولاءنا إلى المجتمع الأمريكي الذي يهب لنا الحرية، ولقد قال مونتسكيو إن الجمهورية لا يمكنها أن تبقى إلا إذا كان مواطنوها يحبونها. حرية والتزام، حرية وواجب : تلك هي الصفة، وعلينا ألا ننساها أبداً، وعلينا ألا نخدع أنفسنا أبداً. فليس من المنطق الصائب أو الخطة الرشيدة أن يتاح لنا الحصول على الحرية دون التزام. لن يستمر ذلك طويلاً." (جاردنر : ٢٢٣) ذلك جزء من كل التفكير المثالي الذي لن يفيد مصر أو شبابها شيئاً في عام ١٩٩٤ م.

ونفس المفارقة موجودة، نقدياً هذه المرة، عند استعراض الوظيفة الترجمة لكتاب "بلاغة الفن القصصي" فرغم أن الدكتور محمد سليمان القويلفي يعي تماماً أن كتاب "بلاغة الفن القصصي" قد تأخر على الأقل عقدين من الزمن إلا أنه يعلن سروره بهذا الكتاب رغم تأخره، ويضيف "صحيح أننا دخلنا منذ ذلك

الحين (بعض الدخول)، فى سياق نظريات وطرائق نقدية مختلفة شيئاً، ولاحقة لما فى الكتاب، ولكن ذلك لم يكن ليغنى عن ترجمته، فهو فى ظنى (جسر) من الجسور التى لا بد من عبورها للعبور (بسلاسة) - وبدون أوهام أفلاطونية - من (هنرى جيمس) و (بيرس لوبوك) و (فورستر) وغيرهم إلى إبارت، وأندوروف وجيراد جينيت ومن نحى نحوهم من نقاد المدرسة الفرنسية بتياراتها المختلفة ومعهم أفكار نقاد ما سمي خطأ مقصوداً - المدرسة الشكلية؛ . . . وهذه ليست محاولة لتعيين موقع (بلاغة الفن القصصى) تعييناً دقيقاً من حيث موقعه فى سياق طروحات الحقل وإنما هى إشارة إلى جانب واحد من طبيعه طروحاته وعلاقته بسابقه " (الرياض : العدد ٩٦٦٣) ونحن نتفق تماماً مع الدكتور القويلى فى أهمية عبور تلك الجسور النقدية بسلاسة، ولكن ألا يرى معى الدكتور القويلى أن هذه العملية ستكون عبوراً إلى الخلف؟ فأين " بلاغة الفن القصصى " من كتابات ديفيد لودج الذى ختم به شهادته حول كتاب وين بوث؟ وإذا كان الدكتور القويلى قد استهل استعراضه للترجمة بالاستشهاد بكلمات جون كرو رانسوم، فهل يقبل الدكتور القويلى أن يستشهد طالب النقد فى نهاية ١٩٩٩ بما قال جون كرو رانسوم (١٨٨٨ - ١٩٧٤) فى عام ١٩٣٤ حول الشعر الفيزيقي والأفلاطوني، وكذلك الشعر الميتافيزيقي؟ أظنه لا يقبل بذلك حيث إن الستين سنة التى تفصل بيننا وبين رانسوم وجيله من أمثال ت. إس. إليوت (١٨٨٨ - ١٩٦٥) تجعل ما قالوه من التراث النقدى مع نهاية ١٩٩٤ م. ولقد كان إليوت ناقداً نافذ البصر والبصيرة عندما أعلن أن ذكراه المثوية ستمر دون أن يتذكره أحد رغم علمنا تماماً بما أحدثه إليوت من تطورات هائلة فى النقد ووظيفته ومسمياته. ولا أظن أحداً اليوم يهتم بآراء تى. إس إليوت إلا على أساس كونها جزءاً من كلاسيكيات النقد، ولجد الدكتور القويلى يعترف بأن " بلاغة الفن القصصى " قد أصبح " (كلاسيكياً) على حد تعبير اللغة الإنجليزية فى وصفها الكتب (الرئيسة) فى حقل معرفى ما " (المرجع السابق) رغم كل ذلك فإن الدكتور القويلى لا يرى ضرراً فى تأخر ظهور " بلاغة الفن القصصى "، بل ويرى أنه قصر عن مثيلاته الكلاسيكية بست سنوات " وأكاد أشبهه من حيث كلاسيكيته، لا مبحثه الدقيق بكتاب " نورثروب فراى "

(تشریح النقد) الذى ترجم (أخيراً) إلى العربية، بعد أكثر من أربعين سنة من صدوره، وكتاب (نظرية الأدب) لـ "أوستن وارن" و "رينيه ويليك"، الذى ظهرت ترجمته إلى العربية فى أواخر السبعينيات الميلادية بعد أربعين سنة من ظهوره هو أيضاً. على أن كتاب "بلاغة الفن القصصى" تخلص من تلك الأربعينية بقصوره عنها بست سنوات " (المرجع السابق)

إننى مسرور مثل الدكتور القويلى بهذه الترجمة لكن سرورى سيكون اعظم لو أنفق المترجمان وقتهما فى ترجمة آراء ديفيد لودج، أو كى. إم. نيوتن، أو إدوارد سعيد، أو حاتم، أو أياً من الأسماء التى تلمع فى أيامنا هذه، وخصوصاً أن بينها عربى هو إدوارد سعيد، لا يخلو كتاب فى النقد المعاصر من فصل أو جزء من فصل عن اتجاهه النقدى. لذا فإن ترجمة "بلاغة الفن القصصى" تبتعد كثيراً عن الفرضية التى سبقت فى بداية هذه الدراسة وهى أن وظيفة الترجمة التحديث حتماً والمعاصرة إن أمكن.

أما الكتب الثلاثة الأخرى، وإن كان يجمعها حقل التعليم فإنها صدرت حديثاً باللغة الإنجليزية، وكذلك صدرت ترجمتها بعد سنتين أو ثلاث سنوات، وقد نقول أن هذا هو الوقت المستغرق فى الترجمة والمراجعة حتى النشر. فكتاب "التعليم فى مجتمع متعلم" صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٨ وترجم فى عام ١٩٩١ إلى العربية؛ وكتاب "إسكالتى: أفضل المعلمين فى أمريكا" صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٨ وترجم إلى العربية عام ١٩٩٠. إلا أن كتاب "معاونة الكبار على التعلم: تخطيط البرامج وتطبيقها وإدارتها" صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليزية والطبعة العربية. ومن ثم فإنه لا توجد هوة زمنية كبيرة تفصلنا عنهم.

وكتاب "التعليم العالى فى مجتمع متعلم" يناقش منذ البداية الأسباب التى أدت إلى وجوب حدوث تغيير فى نظرة الأفراد والمجتمعات إلى التعليم العالى، وأظن أن البلاد العربية تمر بنفس الظروف. فنظرتنا اليوم الى الجامعة لم تكن كما

كانت عليه منذ خمسين أو حتى عشرين عاماً مضت، ولوعاد التاريخ ببعضنا إلى الوراء لاخترنا أن ندرس إدارة الأعمال مثلاً، أو علوم الحاسب الآلى، ولكن لكل زمان أحكامه التى نجد أنفسنا - شئنا أو لم نشأ - محكومين بها. ونعود إلى الأسباب التى يلخصها جيرولد أبس فى كتاب " التعلم العلمى فى مجتمع متعلم " وهى " ظهور تغيرات بنوية ". ظهور مؤسسات تعليمية بديلة . تلاشى الحواجز بين ما هى أكاديمى وغير أكاديمى. تلاشى الفروق التقليدية بين التدريس فى الحرم الجامعى وخارجه. تبنى عدة استراتيجيات للتغيير. تطوير أساليب جديدة للتعليم والتعلم. استخدام مصادر جديدة وخلاقة للتمويل. تطوير برامج خاصة لفئات معينة من المجتمع. ظهور لغة جديدة ". (أبس : ٩) وأظن هذه بحق بعض الأسباب التى حذت بكثير من الدول العربية، وخصوصاً مصر والأردن إلى التوجه إلى التعليم الخاص فى المرحلة الجامعية، والاتجاه عموماً نحو التعليم الفنى، وفتح الفرصة للكبار لدخول الجامعة إما عن طريق الانتساب الكامل أو الموجه، وقد كان للإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تجربة رائدة فى هذا المجال . وأظن هذا الكتاب بما فيه من دراسات معاصرة سيفيد الكثير من القائمين على التعليم العالى فى أى دولة عربية. وينقل لنا المؤلف تجربة فشل ونجاح التعليم العالى فى أمريكا، فيقول : "لقد وضعت أسس التعليم العالى الحالى فى أواخر القرن التاسع عشر. وقد أوجدت الاضطرابات الطلابية فى الستينات من هذا القرن صورة سلبية للجامعات الأمريكية على الأقل فى بعض الأوساط الأمريكية، ولكن التعليم العالى اذهر فى السبعينيات، وتشمل المؤثرات على التعليم العالى ما يلى :

- ١ - التغيير فى إعداد الطلبة المسجلين وازدياد عدد الطلبة الكبار فى الكليات.
- ٢ - تغيير فى المناهج لصالح المناهج المهنية.
- ٣ - التنافس بين الجامعات والكليات ومؤسسات التعليم العالى البديلة.
- ٤ - التعاون بين الجامعات والكليات والمؤسسات الأخرى.
- ٥ - تطور وسائل وأساليب تدريس جديدة.
- ٦ - ازدياد المشاكل المالية التى تواجه عدداً كبيراً من المؤسسات.

ويشهد التاريخ أن مؤسسات التعليم كانت تستجيب للقوى الاجتماعية بشكل مستمر. ونادراً ما كانت المؤسسات ترفض التغيير، إلا أنها كانت تستجيب. وتطور نفسها وتعديل من برامجها بالرغم من أنها تفضل البقاء على ما كانت عليه أكثر من إنصياها للتجديد والتغيير" (أبس : ٣٧). كما أن آراء في مناقشة تعليم الكبار وما يجب عمله نحو تعليم أفضل، هو ما تتطلبه مجتمعاتنا. يتخبط البعض في توفير فرص التعليم للكبار، فيحولون فصول تعليم الكبار الى دروس تقليدية كما لو كانوا يخاطبون طلاباً منتظمين بالجامعة.

إن الكتاب - في مجمله - تجربة معاصرة ودسمة لتعليم الكبار في المجتمع الأمريكي، وقد نقلت هذه التجربة إلى اللغة العربية في وقت مناسب بعد صدورها في طبيعتها الإنجليزية بثلاث سنوات، وما على المهتمين بتعليم الكبار إلا اقتناؤه والاستفادة قدر المستطاع بما فيه.

أما الكتاب الرابع "إسكالنتى : أفضل المعلمين فى أمريكا " فنحن بحاجة الى هذا النوع منه ليرافق جميع مدرسينا الذين قد يصابون بخيبة أمل عند دخولهم أحد الفصول التى أفسدتها " مدرسة المشاغبين " وناظرها ومخرجها ومؤلفها وممثلوها. إن جيم إسكالنتى يقدم تجربته بين طلاب جاءوا الولايات المتحدة من دول أمريكا اللاتينية. وتجربة إسكالنتى تقع فى مدرسة جارفيلد فى لوس أنجلوس الشرقية. إن أكثر من ٩٥٪ من الطلاب فى مدرسة جارفيلد ينحدرون من عائلات من أمريكا اللاتينية، كما أن بعض تلك العائلات قد جاءت إلى الولايات المتحدة من المكسيك بطريقة غير شرعية فى الغالب. وحتى من مضى على إقامتهم فترة طويلة مازالوا يتكلمون الأسبانية فى بيوتهم. وقليل من البيوت تحوى كتباً بغض النظر عن اللغة المكتوبة فيها، أو شهادات من أى من المعاهد معلقة على الجدران" (ماثيور: ٦) ومجتمع الأمريكيين الذين يأتون من أمريكا اللاتينية ذو طبيعة تعليمية سلبية خاصة " وحسب ما تقول الهيئة الوطنية الخاصة بالتعليم الثانوى للأسبان، فإن ٤٠٪ من الشباب من الأصل اللاتينى فى الولايات المتحدة والذين يتركون المدارس قبل التخرج يفعلون ذلك قبل إتمام الصف العاشر. كما أن ٤٥٪ من الطلبة من الأصل المكسيكى والبورتيوريكى لا ينهون دراستهم الثانوية أبداً، و ٧٦٪ من جميع الطلاب من الأصل اللاتينى لا يحققون إلا أدنى النتائج فى الامتحانات

الوطنية الموحدة. ففي كاليفورنيا وحدها أكثر من ١٣٪ من جميع خريجي المدارس الثانوية و ٥ ٪ فقط من الخريجين من أصل لاتيني كانوا مؤهلين للقبول في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٨٣ * (مانيوز : ٨ - ٩) إن نجاح إسكالنتي في مدرسة جارفيلد الثانوية " غير المتوقع والمنقطع النظير نشأ من معتقدات وطموحات رجل واحد بمساعدة بعض الأشخاص الذين شاركوه بعضاً من آرائه وإن لم يكن كلها. لم يقدم أى منهم نظريات عظيمة عندما بدأوا في مبادراتهم، والقليل منهم حلم بالتسائج المذهلة التي تحققت " (مانيوز : ٣٧٥). ومن المهم أن نعلم أن تجربة إسكالنتي قد وقعت بين الطلاب الأمريكيين الذين يمضون أمام التليفزيون " وقتاً يزيد ألفي ساعة عن الوقت الذي يقضونه في المدرسة " (مانيوز : ٣٥٥) في حين أن الطالب في اليابان وما عرف بالاتحاد السوفيتي سابقاً يقضى في المدرسة ستة أيام أسبوعياً إضافة إلى الدروس المسائية.

وكما قلت عن تجربة إسكالنتي في بداية تناولي لهذا الكتاب، نحن بحاجة إلى قصة رائعة كهذه تتداخل فيها الأرقام مع السرد القصصي البسيط والترجمة الموفقة، لتقدم لنا واحدة من التجارب التعليمية التي تضيف رخصاً الى تجربتنا التعليمية. صحيح أنه لا يوجد بيننا مهاجرون من بوليفيا أو أسبانيا أو بورتوريكو كي نتبنى تجربة إسكالنتي، ولكن تجربته مورد جد مرّن تطبيقياً، فكم من قرانا في الريف والبدو نجد فيها نفس الظروف والأسباب التي توجد غالبية من الأميين الذين يطحنهم الفقر والجهل والمرض. وكم من ضواحي ومدننا يسكنها أناس بلاماوى أو مسكن، وإن توفر فهو الصفيح أو الخشب، كما كانت عشش الإنجليز في ضواحي المدن الإنجليزية بداية القرن العشرين. إن إسكالنتي مطلوب عربياً كما هو مطلوب أمريكياً، فقد حاول تدريس مادة صعبة على ذهن الطالب الأمريكى المرفه، ألا وهي مادة التفاضل والتكامل، وبفضل جهده جاء ترتيب تلك المادة الثالث بعد التاريخ الأمريكى والإنجليزى في امتحان عام، وكان عدد الطلاب المتقدمين لذلك الامتحان ٠.٨١، ٢٦٢ طالماً وذلك في يونيو ١٩٨٧ (مانيوز : ٣٨٩). إننا نريد لترجمة هذا الكتاب الفريد من نوعه أن يكون مرجعاً لأصحاب الهمة العالية من مدرسينا الذين يجدون مشقة في تدريس أى مادة لأبنائنا - وبذا تتحقق المعاصرة لما يحدث لدى الآخر. وصحيح أن تجربة إسكالنتي لم تكن وليدة تسعينات هذا القرن. لقد بدأت في أربعيناته، لكنها لم تظهر في كتاب إلا عام ١٩٨٨، وسارع مركز الكتب الأردني إلى ترجمتها إلى العربية ليكون من ورائها بعض المنفعة.

أما آخر كتاب وهو "معاونة الكبار على التعلم" فقد ظهرت طبعته الإنجليزية الأولى عام ١٩٨٦ وطبعته المترجمة الى العربية عام ١٩٩٣. ونحن إذ نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب لأول مرة فى أمريكا ونقله إلى العربية فى القاهرة، فإننا نشئ على جهد الترجمة الذى قامت به الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية لإيصالنا بما يدور لدى الآخر فى هذا المجال الذى تحتاجه مجتمعاتنا فى مراحلها التنموية المختلفة، "كما أن المشرفين على برامج تعليم الكبار ومنسقى هذه البرامج يستطيعون أن يستخدموا الأفكار والأمثلة التى يقدمها الكتاب فى مساعدة المعلمين على تحسين أساليبهم. وفوق هذا فإن معاونة الكبار على التعليم، يعتبر مصدراً لقراءات مفيدة لورش الزمالة الدراسية وللبرامج الجامعية فى تعليم الكبار. ثم إن معالجاته الشاملة، وأمثله العملية المتنوعة، وأسئلة الحوار به، واستشهاداته فى الكتابات العلمية والعملية سوف تكون مفيدة بصفة خاصة فى مثل هذا السياق " (نوكس : ٨). والكتاب فى فصوله الإثنى عشر يجيب على أسئلة تتعلق بكيفية : معاونة الكبار على التعلم؛ تفهم الدارسين الكبار ؛ تعزيز التعلم من قبل المعلمين؛ تقدير حاجات الدارسين ووضع أهداف البرامج؛ أنشطة التعلم الفعالة، إختيارها وتطبيقها؛ إختيار المواد التعليمية وإعدادها؛ تهيئة ظروف مساندة لعملية التعلم ؛ توفير تفاعلات متحدية بين التعليم والتعلم؛ إستخدام معلومات تقييم البرنامج بصورة فعالة؛ معاونة الكبار على تطبيق ما يتعلمونه؛ توفير موارد إضافية لنجاح البرنامج؛ وأخيراً استراتيجيات لتحسين التدريس:

من استعراض تلك الأمثلة المعاصرة لخمس كتب مترجمة مؤخراً نخلص إلى أن الترجمة يجب أن توظف لتكون جهداً موجهاً لوصلنا بما لدى الآخر - قد يكون الغرب وقد يكون أمريكا أو غيرهما - فى كافة العلوم والمعارف وما هى عليه اليوم ومن خلال ذلك الوصل نتحقق صفة معاصرة ما لدى الآخر الذى أصبح لا يفصلنا عنه سوى أجزاء من الدقيقة هى المدة المستغرقة فى بث الخبر عبر الأقمار الصناعية.

اللغة العربية بين التصعيد والترجمة

صمدت اللغة العربية في وجه موجات طويلة الأجل من الغزو العسكرى والمعرفى من الدول المجاورة التى لا ينطق أهلها العربية. كما أنها لم تستسلم كما فعلت مثيلاتها من اللغات الأوربية لتأثير الاحتلال والارتماء فى أحضان الاستعمار فترات طويلة. وإذا كانت نسبة لا تقل عن ستين بالمئة من اللغة الإنجليزية قد أخذت عن الفرنسية فإن النسبة تنعدم فى حال اللغة العربية فى مصر التى احتلها الفرنسيون قرابة مئة عام وتبعها الانجليز الذين احتلوها أربعاً وسبعين عاماً. فبقيت العربية فى مصر سليمة لم يدخلها ما دخل الإنجليزية حينما احتلها الفرنسيون لمتى عام فقط. وصحيح أن اللغة العربية فى المغرب العربى قد دخلتها الفرنسية بشكل ملحوظ، لكن ذلك الغزو اللغوى كان بتأثير مادية اللغة الفرنسية فاستخدمها الناس للتعبير عن أنفسهم أمام الحاكم الفرنسى، ولتداول معاملاتهم وأغراض البيع والشراء. وصحيح أن نسبة من أهل المغرب العربى لا يتكلمون العربية إطلاقاً، لكن مجهودات التعريب والترجمة قد أثمرت كثيراً لدرجة أن أصبح للمغرب العربى مدرسته الرائدة فى مجالى الترجمة والتعريب. لذا لم تكن الفرنسية فى المغرب عوضاً عن العربية، أو بدلاً عنها، فكان حال تلك البلاد كمن يمتلك سيارتين يستخدم الأولى للذهاب الى عمله والثانية عند التنزه مع أسرته.

إن صمود اللغة العربية فى وجه اللغات الأخرى إما تحت تأثير الغزو العسكرى أو المعرفى قد أخذ أشكالاً عدة منها، إختزال اللغة الأجنبية فى العربية وإخضاعها للنماذج اللفظية العربية ومن ثم إدراجها ضمن معجم العربية وإضافة النهايات العربية فى الجمع والتذكير والتأنيث والتثنية والإفراد، فنحن نقول : برنامج ، برنامجاً، برنامجان، برنامجين، وبرامج، وبرمجة، وبرمج، وأصل الكلمة Program. ونقول : تلفاز، وتلفزيون وتلفزة، ومتلفز، وأصل الكلمة Television منظوفة فرنسية وإنجليزية. وتشمل تلك القائمة فيديو وكاميرا وإستريو وميكروفون ورايو وتمتد لستوعب من صنوف المأكول والمشرب وذلك كله يندرج تحت ما يعرف فى الإنجليزية assimilation. وليس مما يقلق الغيورين على اللغة العربية أن المترجمين لم يجدوا مقابلات لهذه الكلمات. فإن مادية الموقف لها إملاءات معينة، فحين دخل جهاز الفيديو لأول مرة إلى السوق العربية لم يكن

أول من اشتراه مترجماً ليفكر فى بديل له، لذا تداول الناس كلمة فيديو وأصبحت واحدة ليست فى العربية فقط ولكن فى معظم اللغات الحية فى العالم، وإن كان أصلها لاتينياً من *vide*. وعلى العكس، فإن استيعاب العربية لمثل تلك الكلمات يعكس قدراً كبيراً من قدرتها على الحركة والنشاط الذى يتحدث عنه الدكتور أحمد على فىقول " تحتضن اللغة كل جديد يطرأ على الحياة، واللغة الحية هى التى تفتح صدرها لتلقى هذا الجديد الدائم، سواء نزل ساحتها فى لبوسه الأصيل أو المعدل، أم ارتدى لباس تلك اللغة المستقلة. وفى الحالتين فإن اللغة، ذات الدينامية، لا تضيق بأى مصطلح أو لفظ أو عبارة، لأن اللغة وسيلة وليست غاية فى حد ذاتها. إنها وسيلة للإتصال، وللإفهام، وللتواصل الفكرى والوجدانى" (١)

وقد يصطدم هذا القول مع بعض الآراء التى تقول بعتمية ترجمة كل مفردة ترد إلينا وهذا أمر نتمناه لكن تحقيقه يتزايد صعوبة يوماً بعد يوم فاللغة لها عرفها وهى " لا تخضع لمشية هذا أو ذاك، مهما علت رتبته وبلغت سطوته، لأنها، تاريخياً وعبر مئات السنين من التطور الداخلى، استقامت لها صيغ وقوانين ينبغى مراعاتها والأخذ بها. أما التطور فمحتوم، ولكنه حاصل من داخل اللغة ووفق ما انتهت إليه من آلية" (٢) فنحن أمام وضعية سياسية قبل كل شئ. حيث ارتباط اللغة والشعب الذى يتكلمها يكون عاملاً مهماً فى هذه الوضعية، وليس الموضوع ما نريد أو نتمنى، ولكن ما هو صائر وما هو واقع وغير ذلك يعتبر تملصاً من مواجهة ما يصير، ما يقع حولنا، لذا " تكون اللغة مهمة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مهماً سياسياً، واقتصادياً، وتجارياً، واجتماعياً، وثقافياً. فالإنجليزية والفرنسية والألمانية لغات هامة لكون شعوبها هامة، ولذا فإنها تدرس على نطاق واسع خارج البلاد التى تستخدمها" (٣).

ومن الثابت أن اللغة العربية ذات حضور وفاعلية مكنها من تقبل كثير من الوافد عليها رغم اختلافه لغوياً عن جذور لغتنا العربية ومن ثم فقد استوعبت كثيراً من مستحدثات العصر اللغوية بسهولة ويسر وتلك سمة هامة فى اللغات الحية ذات الحضور والفاعلية التى " تقبل كل وافد جديد عليها وتهضمه، وذلك حسب طبيعتها وقوانينها المتواترة، لأن لكل لغة خصائص تكوينية لا مفر من مراعاتها. وما قد يصح على لغة، من حيث النحو وتركيب الجملة والكلام، قد

لايتلاءم مع "سانتاكس" لغة أخرى، . فكما أن لكل إنسان إطلالة متفردة ولون عيين ونبرة صوت نعرفه بها، هكذا اللغة تتمايز عن غيرها بإيقاعها وجماليتها^(٤) فصحيح أن الكلمات ذات الاستخدام الحديث فى الإنجليزية تمثل مشكلة كبرى عند نقلها إلى العربية. ورغم حداثة فى الإنجليزية، مثلاً، إلا أنها استطاعت أن تتكيف بشكل واضح لتقابل الاستخدام الحديث فى الإنجليزية. ولكن عند نقل تلك المفردة إلى العربية تظهر الصعوبة لأن تلك المفردة لم تمر بمرحلة ما يعرف بالتصعيد فى اللغة، وهو ما يستدعى مرورها بالمرحلة الحسية المادية وصولاً إلى مرحلة التجريد المعنوى "وكيف لا تكون اللغة فى أصل منشئها، مادية الجذور، وقد انطلقت من المحسوسات المتوافرة فى محيطها الطبيعى، ثم جدت عليها، مع الزمن، عملية تصاعدية، فتجردت معانيها وداخلها المجاز وهذا أمر نتيته بوضوح من خلال الكثير من مفردات لغتنا، ذات النشأة البدوية... وهذه العملية الانتقالية من المحسوس المادى إلى التجريد المعنوى يدعوها المشتغلون باللغة "التصعيد" وهى سمة اللغات المكتملة الراقية"^(٥). فلو لم تكن فى اللاتينية كلمة vide ما استطاع متكلمو الإنجليزية إيجاد كلمة فيديو، فقد أضافوا الزائدة O - ، كما فى إستريو Stereo الإغريقية والتى هى الأخرى أُسْتُوعِبَتْ إستيعاباً كاملاً فى الإنجليزية وساد استخدامها فى عدد من الكلمات الإنجليزية مثل Stereo نفسها وتعنى جهاز استعادة الصوت عن طريق السماعات المكبرة، وهى زائدة فى أول الكلمة تعنى "صلب" وهى تشير إلى التماسك والصلابة وثلاثية البعد فى تكوين الكلمات المركبة مثل Stereo Chemistry كيمياء المواد الصلبة، Stereo gram الرسم المجسمى، Stereo Scope الإستريوسكوب وهو أداة بصرية تبدى الصور للعين مجسمة، ونستطيع أن نعد بعد ذلك أربعة وثلاثين كلمة مركبة كلها تبدأ بهذه الزائدة فى قاموس وبستر الموسوعى طبعة ١٩٨٩. لذا بقيت الكلمات التى استعرتها من الإنجليزية أو الفرنسية كما هى لعدم مرورها بالمرحلة الإنتقالية من المحسوس المادى إلى التجريد المعنوى التى يتكلم عنها الدكتور عُلبى على رغم تمتع لغتنا بالديناميكية والحضور وذلك مما يميزها كلغة مكتملة وراقية. لذلك أيضاً، فإنه لا ضرر من دخول المفردات التى هى اختصارات acronyms لأول أسماء الهيئات والمنظمات الدولية مثل : اليونسكو، واليونسيف، والأورنروا، والأوبك، والناوتو، وما شابهها.

وتلك مفردات جديدة فى اللغة العربية تضاف إليها فتكسبها حيوية وديمومة على التغيير إلى الأفضل، ذلك أنه "عندما تتوقف لغة عن التغيير، فنحن نسميها لغة ميتة. فاللغة اللاتينية الكلاسيكية لغة ميتة لأنها لم تتغير طوال مدة قاربت ألفى عام. أما القول بأن لغة ما لها صفة الحيوية الدائمة فإنه يمكن الاستدلال على ذلك بسهولة عند النظر فى مفرداتها. فالكلمات القديمة تموت، الكلمات الموجودة يتغير معناها" (٦).

أما الشكل الثانى من أشكال صمود اللغة العربية فى وجه الغزو المعرفى والعسكرى فقد كان الترجمة. وتمثل ذلك فى جهد دؤوب لنقل مالىدى الموجود المعرفى الغربى إلى لغتنا. وكان هذا شغلا شاغلاً لجميع مفكرينا وحتى شعرائنا الذين تزعمهم حافظ ابراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢) عندما كتب تائيته " اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" (٧) عام ١٩٠٣ والتي بدأها بقوله:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى وناديت قومى فاحتسبت حياتى

إن اللغة العربية عنده قد "وسعت كتاب الله لفظاً وغاية" وما ضاقت "عن أى به وعظمت" فلذا هو يستغرب أن تضيق اليوم عن وصف آلة/ وتنسيق اسماء لمخترعات" وفاخر بعد ذلك بعربيته وخلد صوته فى مسامعنا منبهاً ومحفزاً للهمم أن تترجم وأن تأتى فى لغتنا ما يواكب مخترعات الغرب ومسمياته:

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فياو يحكم أبلى وتبلى محاسنى ومنكم وإن عجز الدواء أساتى

الأساة فى قصيدة حافظ ليسوا الأطباء، فذلك معنى أساة فى القاموس، ولكن ما أراده هو المترجمون واللغويين الذين فى يدهم فقط معالجة ما يطرأ على اللغة من جمود يؤدى بها إلى الموت أو البلى كما أشار إلى ذلك بو وكبيل منذ قليل. ويستمر حافظ فيقول:

فلا تكلونى للزمان فلانى أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزة ومنعة وكم عزقوم بعز لغات

ولا يغيب عن ذهن دراسى التاريخ الأمريكى نوح وبستر (١٧٨٥ - ١٨٤٣) وهو معجمى أمريكى كان من رواد تكوين السوعى الأمريكى، ولا يوجد لغوى أمريكى لا يستند إلى آراء وبستر فى كتاباته أو أسانيده. كما أن طبعات وبستر تفوق الحصر : من الموسوعى إلى المكتبى إلى الجامعى إلى العالمى. وتتعدد طبعته من الرخيص جداً حتى يتيسر للعمامة غير القادرين إلى الذى يتعدى مئات الدولارات.

ولقد كانت نعمة عجز اللغة العربية عن مواكبة المخترعات الحديثة فى العلوم والفنون موجودة منذ القديم وتناولها حافظ فى قصيدته برجاء حزين :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب	ينادى بوادى فى ربيع حياتى
أيهجرنى قومى - عفا الله عنهم -	إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثه الأفرنج كما سرى	لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة	مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حاصل	بسطة رجائى بعد بسط شكاتى
فلما حياة تبعث الميت فى البلى	وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
ولما ممات لاقيامة بعده	ممات لعمرى لم يقس بمات

إن من بيننا اليوم من يقول بعجز اللغة العربية التام عن مجاراة ما يدور بالخارج وهؤلاء محسوبون علينا، وهم يستندون فى ذلك إلى حجج واهية ضعيفة. ولقد سرت تلك "اللثة" مع لثة "الفرجة" - أى جعل حياتنا صورة طبق الأصل من حياة الأفرنج، غير العرب - وقد بدأت الفرجة أول ما بدأت باللغة. فليس مهماً إلى أى طبقة يتسبب شخص ما، المهم هو ما يتشدد به مفردات أجنبية كانت يوماً فى مصر من الفرنسية وهى تخص المأكل والملبس وبعض المناحى الثقافية. ولقد كانت الفرنسية فى بعض الأحيان هى جوار المرور إلى الوظائف العليا دون النظر إلى المؤهل أو الخبرة. لذا كانت لغة هؤلاء الناس، كما وصفهم حافظ، "كثوب ضم سبعين رقعة" - خليط من عربية غير مهضومة، وفرنسية مستعارة لتوها.

ومما يوسع انتشار تلك اللوثة أن بعض لغويينا يرون ضرورة نقاء العربية من اللغات الأجنبية، وهذا فى حد فهمهم يضمن خلو العربية من الألفاظ غير العربية. ولو فعلت الإنجليزية ذلك لما ضمت إليها الأرقام العربية ولما ضمت إليها علوم الجبر والكيمياء والهندسة والحساب أثناء عملية نقل الموجود العربى. وفى حوار متميز مع مجلة المستقبل العربى، يتناول المفكر الدكتور غانم هنا، هذه القضية مفنداً مذهب الدعوة إلى نقاء العربية من المصطلح الأجنبى، حيث يقول: "عجز اللغة العربية فى تأدية متطلبات العلوم فى واقعنا المعاصر، هذه التغطية فى عجز علمائنا اللغويين أوفى تعصب بعض العلماء الآخرين، فى تطوير اللغة العربية وهى قادرة فى منطقتها، فى صرفها وفى نحوها على استيعاب جميع العلوم، يرى هؤلاء أن الحفاظ على الماضى وعدم إدخال اشتقاقات إليها، مثلاً، تتماشى مع اشتقاقات اللغة العربية، يقتضى التمسك بطهارة ونقاء اللغة العربية، فى حين أن الطرف الآخر يلجأ إلى استيراد تلك المفاهيم والمصطلحات من اللغة الأخرى دون أى مبرر. فبدل أن لجابه اللغة العربية ككائن حى نفرض عليها ونستنتج من امكاناتها ما يتلاءم مع متطلبات عصرنا، ننادى بنقاء اللغة العربية أو ننادى باستخدام لغات أوروبية أو لغات أخرى فى مجال العلوم. المشكلة ليست إذأ فى اللغة العربية، كما أنها ليست مشكلة الإنسان العربى وإنما هى مشكلة أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكاماً على حرية وحياة اللغة العربية، كما ينصبون أنفسهم حكاماً على حياة الإنسان"^(٨).

إن غيرتنا على اللغة العربية، وغيره حافظ، لاتقل شأنأ عن غيرة الإنجليز على لغتهم، فقد كره الإنجليز الأمير ألبرت زوج الملكة فيكتوريا التى حكمت بريطانيا فى الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١ لكونه ألمانياً واعتبره الإنجليز وزوجته عملاء لبروسيا رغم علمنا جميعاً بما قدمت فيكتوريا للتاريخ الإنجليزى علماً وأدباً وثقافة عموماً، وما تزال قلعة ونزور حتى اليوم تقيم متحف التاريخ الدائم احتفالاً بملكيتهم وتخليداً لتاريخها. ولقد كان حدثاً فريداً فى القصر أن يتكلم ألبرت الإنجليزية كما يتكلم الألمانية. وكان الأمير ألبرت يكتب يومياته باللغة الألمانية رغم تمكنه بعض الشئ من الإنجليزية. وكان يحيل جميع مخاطباته إلى السكرتارية أو إلى المكلة فيكتوريا نفسها لتنقيحها وتصحيحها^(٩). إن إتهام فيكتوريا بالعمالة لبروسيا نبع من استخدام ألبرت للألمانية فقط، رغم ماربطه بفىكتوريا من حب

عارم وزواج. لكن الشعب الغيور رأى فيه وفي الملكة رموز العمالة لأن ألبرت تكلم بلغة أعدائهم. ولم تشفع مشاركات فيكتوريا الجملة لعصر سمي بإسمها - فيما بعد - في منع لعنات معاصريها من بنى جلدتها.

وليست الترجمة جهداً منفصلاً عن التأليف، إنهما رافدان للمعرفة في عالمنا العربى أو غيره. فلا توجد عصر ازدهرت فيه الدولة إلا وكانت الترجمة والتأليف جناحى الطائر الملحق. فلقد قام الاتحاد السوفيتى (١٩٤٥ - ١٩٩١) على يد رزمة عسكريين بزعامة ستالين، ولم يصبح قوة نووية تخضع الغرب وأمريكا لما يدور فى الكرملين إلا من خلال الثورة المعرفية، والإنفجار المعرفى الذى وقع فى الاتحاد السوفيتى بعد ذلك. والشاهد، إن الاتحاد السوفيتى أنشا ما يشبه وزارة للترجمة كان همها أن تقوم بترجمة كل ما يدور فى انحاء العالم إلى اللغة الروسية - التى اصطبغت بها جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق - سواء كان ذلك مداعاً أو مكتوباً. وبعد ذلك تحال الترجمات إلى جهات الاختصاص. وتلك الجهات تبدأ من الكى جى بى والكرملين وتنتهى بأصغر معمل لتصنيع الفودكا والكافيار مروراً بمصانع الفراء الروسى الذى يذهب بعقول النساء. إذن فالتأليف والترجمة صنوان لا يفترقان، بل إن الترجمة حافز للتأليف والابتكار. وتجربة الاتحاد السوفيتى لم تكن تعنى وقوفهم عند الترجمة فقط لكنها تطرقت إلى وضع مؤلفات جديدة ونظريات جديدة سبقوا بها الغرب فى رحلات الفضاء وصعود القمر فى وقت واحد مع الأمريكين، وصنع سبعة وعشرين الفاً من الرؤوس النووية التى تعيد العالم - إن اطلقت - إلى عصر حياة الغابة والحجر.

كما أن التأليف والترجمة عند الاستاذ أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣) تياران متوازيان لا يجب أن نفصل أحدهما على الآخر، فهو يقول " الترجمة عندى ضرورة فى هذا العصر إلى حد أنى لا أظن أنه تصح المعارضة بينهما وبين التأليف" ^(١٠). وحينما سئل "أيهما أولى بالتقديم - عند الترجمة - الآداب أو العلوم؟" أجاب؛ الواقع أن الحركة الأدبية تتقدم الحركة العلمية دائماً. كذلك كانت سنة الأولين. فان الآداب اليونانية قد تقدمت العلم اليونانى. والآداب العربية تقدمت العلم العربى والنهضة الحديثة فى أوربا بدأت بالآداب ثم ننت بالعلوم. فلسنا إذن مختارين فى أن نبدأ بأيهما شئنا" ^(١١). والمهم عند الاستاذ

أحمد لطفى السيد رحمه الله كما هو بنفس القدر عند أى من الأحياء المهتمين بحركة الترجمة، أن نبداً الآن وألا نتأخر، " لأن كل يوم من أيام التأخير فى الابتداء يؤخر فى النتيجة لا أياماً فقط، بل سنوات طويلاً " (١٢).

يبقى سؤال ذو علاقة فى دراستنا هذه : من أى لغة نترجم إلى العربية؟ ولقد درج الكثيرون على الترجمة من الفرنسية فترة ما حين كانت مصر قريبة من فرنسا فكرياً وثقافياً، وحين كان زمن الاحتلال غير بعيد. كما أن دول المغرب العربى تترجم عن الفرنسية لقربها هى الأخرى من فرنسا فكراً وثقافه، وأيضاً لقصر المسافة بين أيام الاستعمار ونيل الحرية. وفى فترات سابقة كانت حركة الترجمة من التركية والفارسية على أشدها، إضافة إلى اللاتينية واليونانية فى فترات أبعد. ولسنا فى حاجة إلى تكرار ما قاله بو وكايل فى بداية هذه المقالة من أن اللغة تكون مهمة إذا كان الشعب الذى يتكلمها مهماً سياسياً واقتصادياً وتجارياً واجتماعياً وثقافياً. وعند ترجمة الآداب الأجنبية فنحن لا نستفيد فقط إطلاعاً على مآلديهم، أو معرفة بموجودهم فقط، ولكننا نستفيد طرائق التفكير وأنماط الكتابة كما يقول الأستاذ أحمد لطفى السيد " وأهم ما ننتفع به من الآداب الأوربية هو أنماط الكتابة وطرائق ترتيب الفكر. فترجموا من أى لغة شئتم، فما ترجمتموه سيأخذ الطابع العربى بعد ذلك أياً كان مصدره. لكل أمة أدب خاص يأتلفه وتقاليدها القومية واعتقاداتها الدينية وعاداتها وأخلاقها ومركزها الجغرافى " (١٣).

وخلاصة القول، أن اللغة العربية، بخلاف كثير من اللغات الحية الأخرى قد صمدت فى وجه كل محتل لكل أرض عربية، وإن تغيرت لغة التعامل فى بعض الدول العربية إلى لغة المحتل، فإن التعبير عن الأحاسيس والمشاعر وما بين الأفراد كان عربياً كل حسب لهجته. ولم تذب العربية. فى غيرها تحت تأثير الاحتلال، كما أنها لن تذوب إنشاء الله بفعل الانفجار المعلوماتى الذى نشهده هذه الأيام. وقد يرى البعض أن العربية مقصرة عن الوفاء ببعض المتطلبات الحضارية المعاصرة ولكن ذلك ليس بسبب عيب فى العربية. هو بسبب خلل معرفى أصابنا فتج عنه التكاثر والخنول الذى ينعكس سلباً على لغتنا، وصدق حافظ أذ قال " وكفى عز قوم بعز لغات. " لذا، فإن " العربية مقتدرة، ولكن أهلها فى زمننا، غير مقتدرين، بسبب عوارض التخلف، والتبعية، واستسهال الأمور، وتخلخل الحس

القومى السليم. إن تاريخ العربية من تاريخ العرب أنفسهم، وإن كان هناك، فى يومنا، من مشككين فى أهليتها فإن شكهم يصب، بالتالى، فى قومهم المتفرقين وفى تاريخهم المعاصر المتفسخ" (١٤).

الهوامش :

١ - د. أحمد علي، " الأساس الإجتماعي للغة "، مجلة العربي الكويتية العدد ٤٠٢، مايو ١٩٩٢، ص ٣١.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٢.

٣ - Albert C. Baugh and Thamas Cable, A History of the English Language (Routledge and Kegan Paul, 3 rd edn., 1981), p. 3.

٤ - العربي ٤٠٢ : ٣١.

٥ - المرجع السابق : ٣٤.

٦ - 2 : Baugh and Cable

٧ - أحمد أمين وآخرون، "ديوان حافظ ابراهيم" (بيروت : دار العودة، د. ت، صورة عن طبعة ١٩٣٢ المصرية)، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٥.

٨ - " تساؤلات حول مشكلات الثقافة العربية : حوار مع غانم هنا"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٣١، يناير ١٩٩٠، ص ١٤٩. والدكتور غانم هنا استاذ علم الاجتماع في جامعة دمشق وسبق له أن قام بالتدريس في جامعتي جو يتنغن وبريمن في ألمانيا الغربية. ومن كتبه : "فلسفة الحضارة"، "بناء المجتمع" و"الفلسفة الاجتماعية".

٩ - Stanley Weintraub, Victoria : Bioraphy of a Queen (Unwin, 1987), p. 230.

١٠ - العربي، العدد ٣٧٢، نوفمبر ١٩٨٩، ص ص ١٠٤ - ١٠٥. سبق أن نشر هذا المقال في مجلة الهلال المصرية عدد ٣ مجلد ٣٣ عام ١٩٢٤. وأعادته العربي نشرة في العدد المذكور تحت عنوان "أفكار لا تموت".

١١ - المرجع السابق.

١٢ - المرجع السابق.

١٣ - المرجع السابق.

١٤ - العربي، ٤٠٢ : ٣٣.

القويﻓﻠﻰ وأدوات النقد(*)

يعقب الاستاذ الدكتور محمد القويﻓﻠﻰ فى جريدة الرياض (عدد ٩٧١٩) على مقالتي "وظيفة الترجمة" التى سبق أن نشرت فى نفس الجريدة بعددها ٩٧٠٥. وأجد أن من واجبي أن أرد على ما قاله الدكتور القويﻓﻠﻰ، لأن تجاهل الرأى الآخر لا يكون إلا جبنأ أو استخفافأ، وحاشاء لله أن يكون أى منهما من صفاتي. وأقسم ردى على تعقيب الدكتور القويﻓﻠﻰ إلى قسمين : الأول : وهو شخصي، لن أرد عليه من قريب أو بعيد ولكن سأسرده حسب وروده فى تعقيب. والثانى : يتعلق بجوهر "وظيفة الترجمة" وقد حصرتة فى إحدى عشر نقطة.

فى الجزء الأول، وهو ما يتعلق بشخصي : يلتبس الأمر على الدكتور القويﻓﻠﻰ فى تقدير عمرى فهو إما أربعون سنة، أو ستون؛ يستخدم الكلمات غبش عيسى / هواجس / خطل / عند الحديث عن اسلوبى يقول أنه يتسم بالضعف والتداخل / التناقص / الأحكام العاطفية الجاهزة وأنى الجأ أخيراً إلى السخرية. وأن مقالتي فى " غنى عن تناقص يتحسرج فى حلقها قبل أن تقف على قدميها "(الرياض : ٩٧١٩). ويتهكم على مقالتي بعد أن أدخل فيها المسطرة والمقص والمنقلة بقوله "يظهر أن أصحابنا الخواجات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السخرية؟" (المرجع السابق) وأخيراً، فيما يتعلق بالنقد الشخصى فإننى لا أعرف حكم صيد البحر وخصوصاً السمك منه.

وكما أعلنت فى البداية فإننى لن أرد بكلمة على ما جاء فى الجزء الأول. ولندخل فى نقاط الجزء الثانى وهى النقاط المتعلقة بجوهر مقالتي وتعقيب الدكتور القويﻓﻠﻰ :

١ - يظن د. القويﻓﻠﻰ خطأ أننى ممن يتخذون من مدارس النقد الأدبى أحد "موقفين : إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنيأ كرنفالياً" (المرجع السابق) واعتقد أنه وضع هذين الخيارين وأنا فى نظره إما رافض لمدارس النقد الأجنبى وهذه لا أرجحها، لكننى أرجح الثانية، وهى أننى أدعو إلى تبنيها تبنيأ كرنفالياً. إن المدارس النقدية الأجنبية تنقل إلى عالمنا الإثقافى نقلاً أعمى

(*) نشرت بالملحق الثقافى لجريدة الرياض "ثقافة اليوم"، الرياض ٩٧٢٦، فى ٩/٢/١٩٩٥.

يجعلها تبدو كرنفالية لا أكثر عند استخدامها أو تطبيقها. وهذه المشكلة ناجمة عن عدم فهم من يترجمونها فهماً كاملاً ولا يهضمونها فكرياً هضمًا جيداً فيميلون إلى العجمة والإيهام، وأجدني أوفق تماماً مع ما ذهب إليه الصديق الناقد د. حامد أبو أحمد في كتابة " نقد الحداثة " عندما قشته لهذه القضية الخطيرة. كما أنني أنا قشها في ترجمة أقوم بها حالياً لكتاب صدر حديثاً وهو " النقد من النظرية إلى التطبيق " (١٩٩٢) حيث يناقش المؤلف كي . إم . نيوتن نفس القضية التي يناقشها د. حامد أبو أحمد لكنها هذه المرة إنجليزية. بعد ذلك لا أظنني من دعاة كرنفالية المدارس النقدية الأجنبية وأجد الشجاعة الأدبية أن أنفي هذه التهمة عن نفسي.

٢ - يعتب عليّ الدكتور القويقل أننى لم أشرح معنى " التحديث "، " المعاصرة " في مقالتي. واعتقادي أن قراء جريدة الرياض، وخصوصاً ملحق "ثقافة اليوم"، هم الصفوة. وهم يعرفون أكثر مما أعرف عن التحديث والمعاصرة. لذا فقد وجدت أن ذلك إضاعة للوقت والجهد ومساحة المطبوعة في أن أشرح أبجديات المصطلح النقدي، إلا إذا كان الدكتور القويقل يتحرى الدقة في تعريف كل مصطلح من مصطلحات المقالة وكذلك كل اسم يرد فيها. وعليه يجب تخصيص مساحة إضافية للهوامش التي تجعل الكتابة الصحفية كتابة أكاديمية بحته، فالمقال في ملحق أسبوعي وليس في دورية.

٣ - المماحكة اللفظية في "مسحة العصر". فقد استخدمت "مسحة العصر" عن قصد لأننى أريد بعض الطموح وليس كله، لأن "كل المعاصر" التي يذهب إليها د. القويقل ستكون وباستخدام كلماته في التعقيب مساوية "لوهم التماهى الحضارى" الذى وبكل أسف - مستخدماً مقياسه وأدواته - تركه مبهماً في ذيل رده المفعم بالحرارة والحيوية.

٤ - المماحكة اللفظية مرة أخرى : المعاصرة / التحديث. لا أتصور أن تتم عملية المعاصرة دون أن تسبقها عملية تحديث. إن المشكلة في الترجمة إلى العربية أننا لا نتواصل وليس لدينا خطة ثقافية موحدة. فإذا كان المترجمون في ١٩٩٥ يترجمون ما صدر هذا العام أو منذ عامين مضياً، فلا بد أن آخرين يترجمون ما صدر قبل ذلك التاريخ - وهكذا تتواصل الترجمة إلى العربية، كل يترجم في وقته ما يصدر في وقته، أما أن نترجم في ١٩٩٥ ما صدر في ١٩٦١ فذلك أمر يستحق

التوقف والتأمل . وهل نؤكد لنا أن "بلاغة الفن القصصى" لم يترجم فى سوريا أو لبنان أو مصر . وأرجو ألا ينزعج د. القويلى، فلى مقالة فى "عكاظ" ناقشت هذه القضية فقد ترجمت رواية "١٩٨٤" لجورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) فى النصف الثانى من عام ١٩٨٣، وظهرت فى السوق المصرى بداية عام ١٩٨٤م . وكانت نفس الرواية تترجم فى السعودية فى عام ١٩٨٣ أيضاً . وقد علق د. رمسيس عوض الذى اشرف على ترجمتها فى مصر، أنها تترجم لأول مرة إلى العربية . كما أعلن الاستاذ عزيز ضياء أن هذه القصة ترى النور لأول مرة فى عالما العربى ويستغرب لماذا لم تترجم من قبل . ولم يدر رمسيس عوض بترجمة عزيز ضياء، ولا عزيز ضياء درى بترجمة رمسيس عوض لافى اثناء الترجمة ولا بعدها وربما إلى اليوم (عكاظ : ١٠١١٧) . ثبت من البحث أن "١٩٨٤" قد ترجمت قبل ذلك التاريخ بثلاثين عاماً فى سوريا لأول مرة إلى العربية، ولم يدر عنها رمسيس عوض ولا عزيز ضياء شيئاً . والفاجعة أن النص ترجم فى سوريا نفسها مرة ثانية عام ١٩٨٦ وأعلن المترجم السوري أنه يقدم للقارئ العربى "١٩٨٤" مترجمة إلى العربية - وبالطبع كما فعل رمسيس عوض وعزيز ضياء - لأول مرة .

٥ - يبتسر الدكتور القويلى حكمى على كتاب "التميز : المهبة والقيادة" ويزج به كحكم نهائى على كتاب "بلاغة الفن القصصى" . وكان أملى فى حمية المعركة التى بدأها ألا يوقع نفسه فى هذا الخطأ . وما قصده بعيداً عن الفرضيات والفسفسات أنه بأى حال من الأحوال لن تكون مشاكل الشباب الأمريكى عام ١٩٦١ هى نفس مشاكل الشباب المصرى عام ١٩٩١ السنة التى ترجم فيها الكتاب . وقد كان رأى هذا مخالفاً لرأى المترجم د. محمود رضوان فى مقدمة "التميز" حيث يقول : " . . . أترانى أقرأ كتاباً عن المجتمع المصرى كتب باللغة الإنجليزية؛ قد يبدو هذا القول غريباً، ولكنها الحقيقة التى لا مبالغة فيها، فالقضايا والمشكلات الاجتماعية والادارية والتعليمية المثارة وكلها مستقاة من المجتمع الأمريكى - هى هى - تقريباً القضايا والمشكلات التى نواجهها فى مجتمعنا المصرى" (رضوان : ١٣) ومازلت أصر أن رأى د. رضوان يعتبر حكماً نهائياً بأن نكون خلف العالم الأول حتى فى مشاكله وليس لنا الحق فى معاصرته حتى فى خيبته .

٦ - لا أرى ماذا أسمى هذا؟ فى مقالتي تقرأ "إلا أن كتاب معاونة الكبار على التعلم : تخطيط البرامج وتطبيقها وإدارتها، صدرت طبعته الإنجليزية عام ١٩٨٦ وترجم إلى العربية فى عام ١٩٩٣، أى أن سبع سنوات فصلت بين الطبعة الإنجليزية والطبع العربية ومن ثم فإنه لا توجد مدة زمنية كبيرة تفصلنا عنهم" (الرياض : ٩٧٠٥) وأرجوا أن يتبه القارئ إلى الكلمات التى تحتها خط . أقول لا أدري كيف تأتى للدكتور القويلى أن ينقلها كما يلى : "نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب ونقله إلى العربية" (الرياض : ٩٧١٩). أذكر بأن الموقف الساخن الذى خلقه د. القويلى هو الذى جعله لا يتأتى فى الإقطفاف. وحيث إنه يدافع عن وجهة نظر معينة فلإن عليه تحرى الدقة فى نقل كلمات لم يمضى على نشرها - وقت الرد - أسبوعان. ومن هذه النقطة الساخنة الملتهبة بينى الدكتور القويلى جميع أحكامه، فى بقية رده، على خطأ فادح فى الحكم على مقالتي وعلى شخصياً، لأن ما بعد هذه الفقرة هو نتيجة لهذه الفرضية . وزيادة على ذلك يسبق هذا الإعلان الخاطئ إستنباط أكثر خطأ حيث يقول : "إن (فرضية ؛) المقالة - مقالتي - هى أنه لا ينبغي ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب (الساخنة) التى لم يمض على خروجها من المطابع سوى (سبع سنوات، أو أقل من سبع سنوات)، و(السبع كثير) يقول الدكتور الفاضل (نستكثر السبع سنوات التى تفصل بين ظهور الكتاب ونقله إلى العربية، وذلك تعقياً على ملاحظته على كتاب (معاونة الكبار على التعلم ظهر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣" (الرياض : ٩٧١٩) وتأسيساً على ذلك فإن حكم القويلى يكون "حكماً عاطفياً جاهزاً - بنص حكمه على مقالتي .

. ويستمر د. القويلى مستطرداً فى هذا الخطأ فيقول : "إن سألنا : ما معنى الكتب المعاصرة؟ جاء الجواب : أى تلك التى لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات. وإن سألنا لم ينبغي أن تقتصر على ترجمتها؟ جاء الرد لأنها معاصرة، وإن استفهمنا عن الذى يعطيها قيمة؟ ردت المقالة كونها معاصرة، وإن قلنا ما يدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات" (المرجع السابق).

هذا مونولوج شكسبيرى استنطقنى إياه د. القويلى لجسم صورة التخطي -
لدى - والهواجس والغش والخلط والرأى المحلق والتداخل والتناقص والتحشرج -
لكنه، والحكم للقارئ، نابع من خطأ فى الاستنتاج، وإلا فماذا يكون؟

٧ - بقية المقال - رد القويلى - كلمة كلمة تدعيم ومساندة للفكرة الرئيسة
وهى أن ما نترجمه لا يجب أن يزيد عمره عن سبع سنوات - حسبما استنطقنى
د. القويلى. لذا فهو يخترع المسطرة والمقص وهى أدوات هندسية على حد علمى
وليست أدوات نقدية. ورغم خلفيتى العلمية المتواضعة إلا أننى لا أدرى كيف نقرأ
"قياس سبع سنوات" إلا أن تكون تلك المسطرة عيسوية صنعتها بنفسى لقياس
عمر الترجمات كما يرى الدكتور الفاضل.

٨ - أطلب من الدكتور القويلى أن يقتطف من مقالى ما يبرر قوله "عندما
أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب "بلاغة الفن القصصى" حكم عليه بسخرية لا
تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله، وكاد أستاذنا الفاضل
أن يحى تصنيفاً مات بعد ١٩٦٧، ليحكم (برجعيتى) أما مترجموا الكتاب
فرجعيتهما أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب،
أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام
ترجمته. (المرجع السابق) مرة ثانية أريد دليلاً ولوكلمة واحدة يضعها الدكتور
القويلى بين قوسين واضحين من كلامى، وإلا فإن ما حوته علامات التنصيص
فى هذه الفقرة من كلامه ستكون مقدمة جيدة فى علم المنطق التوليدي.

٩ - يوقعنى د. القويلى فى خطأ سبقه ولحقه شرك متدرج من الحديث عن
النقد وحركته الدائرية وليست المرحلية، حيث يقول؛ أما ما يحويها الكتاب - "بلاغة
الفن القصصى" - فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة تيمية، أو كلمة مفردة.
وكان المتوقع لسلامة إجراء إختيار (الفرضية!!) على الأقل - أن يقارن محتوى
الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين
ليس سوى "مفارقة" على حد تعبيره. (المرجع السابق) إن هذه إتهامات باطلة،
بدءاً بجهلى بحركة التطور الأدبى وإنتهاءً بأننى لم أعرف عن الكتاب سوى عنوانه

وتاريخ صدره مروراً بعدم الإشارة ولوبكلمة يتيمة إلى محتواه، وإن لم تكن كذلك فهي نصر عظيم للدكتور القويلى على شخص ضعيف مثلى، ويحق فى صاحب هذه الانتصارات ما قيل فى حق أبى سفانة "كان مظفراً، إذا قاتل غلب. وإذا غنم أنهب. وإذا سئل وهب. وإذا ضرب بالقдах فار. وإذا سابق سبق. وإذا أسر أطلق. وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه". (لويس شيخو : ٩٩) لقد قتلنى د. القويلى ثلاث قتلات متتاليات وقد يكون عذره أننى لست واحد أمى. ولاطمئن الدكتور القويلى فإن تطور النقد أمر لاجتادل فيه كما أن طبيعة تدريسه هى كذلك فعلى جميع طلاب اللغة الإنجليزية - فى حد علمى - أن يدرسوا النقد الأدبى تدريجياً حسب سنوات دراستهم ابتداءً من أرسطو وصولاً إلى المعاصرين الأحياء. وأجندنى أدخل فى التهمة الثانية مباشرة، لأقول أننى - وآسف لهذا الحديث البيوغرافى المطول - قد درست كغبرى من آلاف الطلاب النقد فى حركته التى يسميها ويعينها الدكتور القويلى حتى وصلت إلى ليفيز وكان استاذى وقتها من أوائل خريجي جامعة لندن الذين حصلوا على الدكتوراه فى مدرسة ليفيز النقدية إبان حياته. أما عدم علمى عن "بلاغة الفن القصصى" سوى عنوانه فكيف توصل إليه د. القويلى. أقول أن وين بوث كان ضمن أعلام مقرر النقد الذين درستهم إبان التلمذة بالجامعة وليس أمامى دليل سوى دفاترى أيامها وأظننى أحتفظ بها حتى اليوم. أما الثالثة الأثافى : أننى لم أتعرض لمحتوى الكتاب، فقد كانت طبيعة المقال تفرض ذلك. ولم أظعن لافى الكتاب ولافى المترجمين ولافى المؤلف ولست فى حاجة لتأكيد ذلك. وليطمئن الدكتور القويلى فلإننى قرأت الترجمة ووجدت أنها لاتنقل مفردات النص الإنجليزية إلى اللغة العربية فى لغة سهلة سلسلة جزلة لكنها أيضاً تنقل روح ذلك النص كما تحوم حوله فى الإنجليزية وقد يكون ذلك موضوع مقال لاحق أظهر فيه أن ترجمة "بلاغة الفن القصصى" واحدة من الترجمات الفذة التى لا بد أن يتداولها قارئ العربية. فالجهد الذى بذله فيه الدكتور عرادات والدكتور الغامدى جهد عظيم يشكران عليه، ولا يستطيع إنسان مهما أوتى من شأن أن يقلل منه، إلا متغرض، أو صاحب رأى مسبق. إن "بلاغة الفن القصصى" حدث ترجمى هائل، ولو صدر منذ ثلاثين عاماً لكان دويه عربياً كدوى الكتاب فى اللغة الإنجليزية التى كتب بها. وعلى أية حال فإن

العشرات من الكتب مضى على ظهورها عشرات السنين ولم تترجم، وسأفرح بترجمتها كما فرحت بترجمة "بلاغة الفن القصصى". بعد ذلك أرى أن المسطرة والمقص والمنقلة ليسوا سوى أدوات أخطأت طريقها إلى مجال النقد.

١٠ - حين طرحت سؤالى : هل يقبل د. القويلى من طالب النقد الأدبى فى نهاية ١٩٩٤ أن يستشهد بآراء إليوت ورائسوم؟ نسيت أن أضيف كلمة "فقط". وبدا يتغير معنى السؤال تماماً. فلو اعتبرنا أن ما يصلنا من النقد فى أوروبا وأمريكا يتوقف عند الستينات لكان ذلك غير لائق. أتفق مع د. القويلى أن الاستشهاد يتكيف حسب النص وحسب المكان والزمان وحسب الحاجة. ولكن مرة أخرى ألا يرى الدكتور القويلى أن الاستشهاد بما فى حفريات الفراعنة... أوجدان الكهوف "أمر غريب فى حين أن نصف أساتذة النقد واللغات فى بلادنا من أتباع البنيوية وما بعدها وأن ملاحقة المدارس النقدية ومحاولة حصرها "يؤدى إلى الإصابة بالانهيار العصبى" كما يقول كى. إم. نيوتن، وذلك لكثرتها وعمليات تولدها التى لا تتوقف. وبالطبع ليست هناك نصوص مقدسة وأخرى غير مقدسة. المهم هو مايفيد موجودنا النقدي.

١١ - يعتبر الدكتور القويلى أن التماهى الحضارى وهم. ذلك أنه يضع على لسانى - مرة أخرى - أننى أفترض أن "بامكاننا أن نساوق الغرب بمجرد ترجمة كتب صدرت عنهم حديثاً؛ لنحقق على حدتعبير الكاتب - "معاصرة مماثلة". (الرياض : ٩٧١٩) لم أقل أبداً أن عملية المعاصرة أو المساوقة تتحقق بكتاب أو كتابين، ولم أنته إلى أن الكتب الخمسة التى سقنتها كأمثلة حققت المعاصرة، والإ فإن ذلك يعتبر طوباوية أخدع بها نفسى والآخرين. لكننى أدعو أن تكون الترجمة عملاً أساسياً فى حياتنا وأن تكون جهداً وطنياً منظماً وأن تكون هناك هيئات ترجمة تستخدم مالدى الآخرين من قدرات ترجمة عظيمة. ولسنا شواذاً فى هذا ولن نكون. فاليابان بنت حضارتها العلمية على الترجمة من الغرب ومن أمريكا. وقد كانت مصر أيام محمد على مثلاً يحتذى فى الحضارة فى نظر اليابانيين، إلا أن اليابانيين تحركوا ونحن توقفنا. وماحادثة التجسس على مصانع

الساعات السويسرية من قبل اليابانيين إلا دليل على أن الترجمة خطوة نحو الرقى العلمى. ولا أمل تكرار تجربة روسية فريدة فى الترجمة، فقد كان لديهم - إبان وجود الاتحاد السوفيتى - شئ يشبه وزارة الترجمة، تقوم على ترجمة كل ما يصدر من مطبوعات كتباً كانت أو مجلات أو جرائد يقومون بترجمتها إلى الروسية والاستفادة منها. وكان لذلك الجهد أن حول الاتحاد السوفيتى من بلاد زراعية - فى غضون عشرين سنة - إلى دولة تغزو الفضاء وتمتلك بعدها سبعاً وعشرين ألف رأس نووى كانت أساس مرحلة الردع النووى التى واكبت الحرب الباردة. إن الترجمة تستطيع أن تفعل الكثير فى حياتنا، لكن نظرنا إليها وتناولنا لها ما يزلان قاصرين عن تأطيرها وتوظيفها، ولذا فإن للدكتور القويلى الحق فى أن يستغرب قولى بأن الترجمة تحقق التحديث والمعاصرة أو التساوق كما يقول هو. وإننى سعيد سعادة عظيمة بتوجه كلية اللغات والترجمة، بجامعة الملك سعود نحو إنشاء هيئة وطنية للترجمة يكون هدفها تأطير عملية الترجمة وتقنينها وتأصيل وسائلها وأساليبها، وإعطائها صفة العمل المنظم لا الفردى المبعثر.

وبعد، فإن هذا التعقيب مى على رد الدكتور القويلى وإن كان فيه اختلاف وتعارض، إلا أنه لا يفسد للود قضية. فالهدف عندى وعنده واحد، وهو محاولة التقدم نحو المستقبل بخطى قوية ثابتة ومواجهة العصر بأدواته وبحضارته العددية المفزعة

المراجع :

- ١ - د. حامد أبو أحمد، "نقد الحداثة" (الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (٨) ، ١٩٩٤).
- ٢ - جون و. جاردنر، "التميز : الموهبة والقيادة"، ترجمة د. محمد محمود رضوان (القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩).
- ٣ - لويس شيخو، "شعراء النصرانية قبل الإسلام" (بيروت : دار المشرق، ١٩٦٧).

٤ - K. M. Newton, Therory into Practice : A Reader in Modern Literary Criticism (Macmillan, 1992).

الترجمة الإبداعية (*)

كثيراً ما نتحدث عن وظيفة الترجمة في حياتنا الثقافية؛ فمن قائل إن وظيفتها هي نقل مالمدى الآخر إلى موجودنا الثقافى، ومن قائل إن هدفها المماهة مع الآخر، ومن قائل إنها تطلعنا على مالمدى الآخر من جديد نتفرج عليه فقط، ومن قائل إن الترجمة ترف وعلينا أن نعود إلى الأصل الأجنبى وأن ننسى موضوع الترجمة جملة وتفصيلاً. إلا أننا فى هذا المقال، نتحدث عن وظيفة تختلف بعض الشئ عن تلك الوظائف السابقة ألا وهى وظيفة الترجمة بوصفها حافزاً للإبداع الحضارى. ولقد دأب البعض على ربط الإبداع بأمور الأدب والفنون فقط، إلا أن ماندرسه هنا - إضافة إلى الفنون والآداب - دور الترجمة فى العلوم والمعارف التى أثرت وأضافت إلى العلوم البحتة بنفس القدر الذى أثرت وأضافت فيه إلى الفنون والآداب.

ولقد شعر الإنسان بأهمية الترجمة عن الآخر، فأخذ يجيل بصره فى موجوده الثقافى. وكانت مشكلة الاختيار من الأمور الصعاب التى تواجه المترجمين. فمئذ "تاريخ الترجمة، نعرف أن الاختيار فى معظم الحالات، خصوصاً ما يقوم به المترجمون الإبداعيون، يتحدد بصفة رئيسية بالحاجة الداخلية لأدب المتلقى، وبقدرته على استيعاب الظاهرية الأدبية لأدب قومى آخر، أو عمل، إلخ. وكذا يتحدد بقدرته على التفاعل بطريقة محددة (تساوقاً أو تبانياً) مع السمات الجمالية لأدب المتلقى"^(١). والمترجم الإبداعى هنا هو الذى ينقل عملاً من لغة الآخر إلى لغته فتكون نتيجة ذلك النقل عملاً إبداعياً فى اللغة المنقول إليها، وقد تناقش دراسات الأدب المقارن ذلك الموضوع بإسهاب أكثر مما نحن بصدده هنا. فمثلاً كان لتناول فرانسوا فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) لمسرحيات وليم شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) ونقده اللاذع إياه أثر كبير فى معرفة أوروبا بذلك العلم الإنجليزى الكبير الذى كانت تجهله، وحيث إن اللغة الفرنسية كانت لغة ثقافة العصر، فقد اهتم الأوروبيون بما كتب فولتير وأخذوا يتعرفون شكسبير. وإن كان

(*) أحيوت للنشر فى مجلة "المبصر"، عدد جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - المواقف ادب - ١٩٩٥ م

"رسائل فلسفية" يمثل عرصاً للثقافة الإنجليزية كما رآها عند زيارته التي قام بها إلى إنجلترا في المدة من ١٧٢٦ إلى ١٧٢٩^(٢) فإن ما يعيننا هو مساهمة ذلك الكتاب في خروج شكسبير من دائرته الإنجليزية المحلية إلى دائرته الأوروبية الأوسع. وخلاصة القول إن "شكسبير لم يلق نجاحاً لدى معاصرة من الأوروبيين ولا لدى من جاء بعدهم، بقدر ما لاقى في القرن الثامن عشر بعد أن اكتشفه فولتير^(٣). وثمة مثال آخر لمجده في ترجمة "رباعيات الخيام" إلى اللغة الإنجليزية. فلم يكن متيسراً لتلك الرباعيات أن تصل إلى الثقافة الأوروبية لو بقيت محصورة في فارسيتها. إلا أنه عندما قام إدوارد فيتز جيرالد (١٨٠٩ - ١٨٨٣) بترجمتها في أربع طبعات في المدة من ١٨٥٩ إلى ١٨٧٩ حوّت كل واحدة مئة بيت وواحد^(٤) أمكن للإنجليز أن يعرفوا تلك الرباعيات وعند مقارنة ترجمة فيتز جيرالد إلى الإنجليزية مع ترجمة الشاعر أحمد رامى إلى العربية نجد أن المحافظة على المعنى في الترجمتين كبيرة جداً، ومعلوم أن الاثنين ترجمها عن الفارسية. وإننى اختلف مع الأستاذ الدكتور محمد غنيمى فى أن فيتزجيرالد كان يعبر عن "أفكاره هو وعن روح القرن التاسع عشر الإنجليزي والأوربي" وإن كنت أنفق معه فى فضل هذه الترجمة والتي بسببها "راجت هذه الرباعيات فى آداب أوروبا وأمريكا"^(٥) وليس أدل على الاعتراف بقيمة هذه الرباعيات من إدخالها ضمن مختارات الشعر الإنجليزي الخالدة فى كتاب The English Parnassus

ونحن لا نقر أن جميع الأعمال المترجمة، على الإطلاق، لها وظيفة إبداعية فى جميع الأحوال. فهناك أعمال تُترجم إلى العربية مثلاً، ولا يكون لها أى أثر يذكر. إن الخواص النوعية وكذا الخواص الكمية لأدب الملقى والتي تشمل قدرته على تقبل الوارد واستيعابه، وكذا دينامية ذلك الأدب، والحالة الحضارية لأدب الملقى ومفادها: هل هو قادر على التعامل مع الآخر "تساوقاً أو تبايناً" كما يقول دورسين، وكذا القدرة الاستيعابية لأدب الملقى بمعنى هل إن ذلك الأدب تشبع بمالذبه من مخزون فكرى ولم يعد قادراً على استيعاب المزيد من الآخر؟ أم إن مداراته مازال تحمل إلكترونات مفرداً لديه القدرة للتزاوج مع وارد عليه من الخارج، وينتج عن ذلك ما اصطللحنا على تسميته بالإبداع الذى تكون الترجمة حافزه

الأول؟ وكانت تلك الخواص - كما سنرى بعد قليل - فى أوج إيجابيتها فى العصرين العباسيين الأول والثانى. إلا أنه تبقى الحقيقة القائمة أن "... حالات غير قليلة تلك التى تتحول فيها الترجمة - إما بفضل اختيار النص أو لطريقة الأداء، فى سياق الأدب المتلقى - إلى ظاهرة غير مواتية التطور وغير مستجيبة للاتجاهات التطبيقية فى أدب المتلقى أو إنها مفارقة تاريخية فى مرحلة التطور. وفى هذه الحالة فهى تميل لأن تكون تعبيراً خارجياً عن العلاقة، وكذا تكون فرص إظهارها للمتلقى المتبادل للأدب ضئيلة جداً، وحتى لا وجود لها" (٦).

ويرى دورسين أن الوظيفة العلاقية للترجمة مسئولة مسؤولية مباشرة فى أن يصبح الأدب المترجم جزءاً عضوياً من أدب المتلقى، وهى من وجهة نظرها تكون مسئولة عن تهميش تلك الترجمات ومن ثم وضعها فى مجموع ما طبع بالحروف العربية فقط. ويشترط دورسين - ابتداءً - حالة خاصة لاستيعاب تلك الأعمال المترجمة فى أدب المتلقى، هى أقرب ما تكون إلى حالة الكائن الحى عند مروره بفترة الخصوبة التناسلية. تلك الحالة هى تنامى الأدب، أى أن يكون فى مرحلة التطور والنمو، لا مرحلة الجمود أو التشيع أو الانكفاء على الذات، وهوما أشرنا إليه منذ قليل بأحادية أحد المدارات الإلكترونية القادرة على الاتحاد مع الكترون وارد من الخارج، والتى بموجبها ؛يصبح الأدب المترجم جزءاً عضوياً من النسق المتطور لأدب، المتلقى وبطريقة محددة يقلل من مقاومة الأدب المتلقى للتطور، ومن ثم يمارس الأدب المترجم بشكل صارخ ما يسمى بالوظيفة العلاقية للترجمة" (٧). وإلى جانب ذلك، يناقش دورسين إشكالية أخرى لاتقل أهمية عن "الوظيفة العلاقية للترجمة" ألا وهى "الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة". وعلاقة ذلك بالخطوات الإجرائية للترجمة، ورود كل ذلك فى الجانب التجريبي الترجمى. والجانب التجريبي تحكمه أربعة أسئلة هامة هى: ماذا نترجم؟ ماذا نقل بحروف لغتنا من اللغات الأخرى transliterate ؟ ماذا نستبدل substitute ؟ وأخيراً ماذا نهائى adapt ؟ ولقد أصبحت تلك الأسئلة مكونات أساسية لنظرية الترجمة التى كان نايدا ضمن من تكلموا عليها عام ١٩٦٤ والتى تعتمد على "إنجازات العلوم اللغوية والأنثروبولوجيا وعلم النفس، ويحدد العلاقة بين النص

الأصلى وترجمته من خلال نظريات المعنى والاتصال communication والعلاقات الاجتماعية بين الفئات. ففي إطار نظرية الاتصال يرى يوجين نايدا في الترجمة عملية لغوية تعتمد على فك رموز decoding النص الأصلى وإعادة تشغيلها recoding فالترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال عملية إعادة بنائها فى لغة الترجمة للتطابق مع النص الأصلى^(٨). وبذا نكون قد وصلنا إلى الجانب المعيارى عند دورسين الذى يسأل: هل الترجمة ضمن علم اللسانيات أم إنها ضمن الدراسات الأدبية؟ حيث ينتهى دورسين إلى أن "الاهتمام بالجانب التجريبي والجانب المعيارى لعمل المترجم تحدده أيضاً إشكالية أخرى مهمة، والتي نسميها الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة والخطوات الإجرائية للترجمة"^(٩). لقد كانت دراسة دورسين تنصب على الترجمة فى الدول الاشتراكية السابقة وهى تجربة فريدة من نوعها، قامت أسبانيا مؤخراً بتقليد بعض منها وذلك بإحياء دار طليطله للترجمة^(١٠)

ويطرح دورسين قضية هامة للمناقشة، تلك القضية تخص التأثير الثقافى للنص فى أصله، وكذا تأثيره فى النص المترجم، وهنا يناقش أطروحه كى. هوداليك التى تقول: إن للترجمة والأصل قىماً ثقافية نافذة كلاهما مختلف فيها ومستقل عن الآخر^(١١) وهو يرى أن عكس هذه الأطروحه يأتى عند تطبيق "المقاييس اللغوية البحتة"^(١٢) عند دراستنا للعمل المترجم، وهو بهذا يتفق مع د. فوزى عطيه عند استعراضه لنظرية يوجين نايدا فى تطابق النصين حيث لابد من وجود أحكام عامة توضع فى الاعتبار عند تناول تأثير الترجمة والنص الأصلى. "فلا يمكن القول بوجود لغتين متطابقتين من حيث المعنى الذى تجسده الرموز أو من حيث أصول وقواعد تنظيم هذه الرموز فى سلاسل كلامية. ويضيف يوجين نايدا إلى أحكام التطابق هذه عناصر جديدة ترتبط بخصائص الأداء فى الترجمة هى: طبيعة الرسالة، قصد مؤلف الرسالة، ومن ثم قصد المترجم، نوعية متلقى الرسالة، وتؤدى هذه العناصر دوراً كبيراً فى تحديد نوع الترجمة وما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختيار السليم للمقابلات المتطابقة أثناء الترجمة. فالرسائل الكلامية تختلف بعضها عن بعض وفق ظهور الشكل أو المضمون فى النص. وإذا كان من

غير الممكن الفصل بين الشكل والمضمون، إلا أن المضمون فى بعض النصوص يبرز كهدف أساسى للنص، وفى البعض الآخر نجد التركيز على الشكل واضحاً إلى حد بعيد (كما هو الحال بالنسبة لعنصر الشكل فى الشعر). أما فيما يتعلق بالقصد، فمن المفروض أن يتفق قصد المترجم وقصد مؤلف الرسالة، أو على الأقل ألا يختلفا. وقد يكون القصد نقل معلومات عن المضمون والشكل، وقد يكون الإعلام مع خلق تأثير انفعالى لدى القارئ أو السامع، وقد يكون القصد إثارة نوع من السلوك لدى القارئ أو السامع، الأمر الذى يدعو المترجم إلى استخدام الأدوات الكفيلة بتحقيق الغرض من الاتصال. ثم يتطرق يوجين نايدا إلى العنصر المكمل لعملية الاتصال من خلال الترجمة، فيشير إلى اختلاف نوعية المتلقى من حيث القدرة على الفهم وإمكانية الاهتمام بالرسالة^(١٣).

وقد شهد العصر العباسى الأول وكذلك العصر العباسى الثانى تطبيقاً عملياً متميزاً للتلقي المتميز الذى كان له الأثر الأكبر فى إعادة الترجمة إلى اللغات الأجنبية ما نُقِلَ سابقاً إلى اللغة العربية. ففى العصر العباسى الأول ترجم البرامكة الثقافة الفارسية إلى العربية، ومن بين ما نقلوا كتاب "هزار أفسانه" وهو أصل "ألف ليلة وليلة". وترجم أبان بن عبد الحميد بن لاحق (ت : ٢٠٠ هـ) كتاب "كليلة ودمنة" إلى الشعر وأهداه إلى جعفر بن يحيى البرمكى (ت : ١٨٧ هـ)^(١٤). وبدأ النثر الفارسى الفنى بترجمة كتاب "كليلة ودمنة" إلى الفارسية الحديثة فترجمة إليها أبو المعالى نصر الله بن محمد^(١٥) وهذا يوضح مدى التفاعل الترجمى ودوره فى عملية الإبداع التى لا تتوقف حركتها جيئة وذهاباً بين الشعوب عند اتصالها ثقافياً. وقد ظهر أثر ترجمة "ألف ليلة وليلة" ظهوراً لافتاً فى قصة عبد الرحمن جبير "شهر راد ملكة" التى استعان فيها أيضاً بكليلة ودمنة ليكتب قصة الصراع العنيف الذى يدور فى كل عصر حول طرائق الحكم^(١٦) وإلى عصر صدور "تراث الإسلام"^(١٧) جاورت ترجمات "الليالى" فى أوبا الثلاثمئة، منها ثلاثون بالفرنسية ومثلها بالإنجليزية، وصارت أحد مكونات الرومانسية التى أخذ بها البورجوازيون قبل أن تصبح مذهباً فلسفياً، ويستجيب أدبها لهذه الفلسفة، أو فلنقل أدق ما يمثلها عاطفياً^(١٨) وقد كان

المستشرق الفرنسي أنطوان جالان (١٦٤٦ - ١٧١٥) أول من ترجم "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية "ومنها ترجمت إلى الإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا في الفترة من ١٧٠٤ إلى ١٧١٢" (١٩). وقد ترجمت إلى الإنجليزية تسع عشر مرة حتى نهاية القرن الثامن عشر وذلك من واقع المخطوطات الموجودة في المتحف البريطاني.

وتظهر الوظيفة العلاقية الإبداعية لألف ليلة وليلة في فعلها في الخيال العربي ثم فعلها في الخيال الأوروبي عندما نقلت إلى اللغات الأوروبية. ورغم بعض عمليات التحريف والتصرف فإن النص المترجم يبقى إبداعاً في حد ذاته (٢٠)، إن اختلف الأكاديميون والفلكلوريون في تصنيف "ألف ليلة وليلة" كجنس أدبي. فالفلكلوريون يقبلون بالتحريف والتصرف ولا يهمهم النص، أما الأكاديميون فيرفضون من منطلق أمانة النص. ورغم أن النقاد العرب لم يعترفوا بمكانة "ألف ليلة وليلة" فلم توضع أدبي مستقل، ولم توضع ضمن القصة، فإن طه حسين وظف موضوعات "ألف ليلة وليلة" توظيفاً لافتاً. "وليست" أحلام شهراد التي أصدرها طه حسين في الأربعينيات بعيدة عنا، ولا غابت عنا فائدة بطلتها التي جعلت طه حسين يتخذها نقطة لانطلاقه نحو العمل من أجل تأمين مصير الإنسان أمام قوى الظلم ومؤامرات الأعداء" (٢١). وكان لترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى اللغات الأوروبية أثرها في كثير من الأدباء، وكان جوهان فلفلنج فون جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) أكثرهم تأثراً بالشرق عموماً وبألف ليلة وليلة خصوصاً. "لقد كان جوته يقارن نفسه، بوصفه شاعراً روائياً، بشهراد، وكان يقوم بهذا بوعي تام، وبصورة مستمرة. وتكشف هذه المقارنة عن جوانب شاعريته التي كانت تبدو لدارسيه والمعجبين به غاية في التعقيد، كما يفسر لنا هذا الأمر ولعه بنوع معين من أنواع التركيب المرن أو الرخو، شغفه باستخدامه في بعض مؤلفاته" (٢٢). وتستطرد كاتارينا مومزن في رائعتها النقدية "جوته والعالم العربي" في تتبع آثار "ألف ليلة وليلة" في أعمال جوته فتقول "ويعثر في حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من "ألف ليلة وليلة"، وينطبق هذا على حكاية "باريس الجديدة" (Der Neue Paris) و"ميلوسينه الجديدة" (Der Neue Melusine) مثلما ينطبق على

الحكاية الخرافية التي وردت فى قصته "أحاديث مهاجرين المان" أما فى "سنوات تجوال فلهم ماستر" فإن الشاعر يلمح بصورة جلية إلى قصتى علاء الدين والمصباح السحرى وحلاق بغداد، كما استعان فى الجزء الأخير من روايته "الأنساب المختارة" بقصة: "أبو الحسن وشمس النهار" من "ألف ليلة وليلة" بينما نجد أنه استفاد فى "الأقصوصة" (Novelle) من حكاية الأمير أحمد والجنينة باريبانو" (٢٣).

وينتهى العصر العباسى الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحق كالمعترجم فى عهد الخليفة المأمون "وكان دقيقاً فى ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهباً. وقد عاش إلى سنة ٢٦٤هـ" (٢٤). ويأتى العصر العباسى الثانى فنجد حركة الترجمة تزداد حدة وقوة وتنمو الترجمة عن اليونانية نمواً عظيماً، ويتم لها الانتقال من الترجمة الحرفية التى تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة الفقر والعبارات بالمعنى ترجمة دقيقة. وهذا هو السر فى أننا نجد كثيراً من المترجمين أعادوا ترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر وغيره من مترجمى العصر العباسى الأول فى عهد المأمون. ويخيل إلى الإنسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتاباً يونانياً فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية. وكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال الضخمة التى كان يغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين، . . . " (٢٥).

وإذا كنا قد مثلنا للترجمات الإبداعية فى الآداب بالتركيز على "ألف ليلة وليلة" عند تناولنا للعصر العباسى الأول، فإن العصر العباسى الثانى قد شهد حركة علمية، هى بدون شك أساس نهضة العلوم العربية والإسلامية، وهى كذلك عند ترجمتها إلى اللغات الأوروبية أرست الأساس الحقيقى للنهضة الأوروبية. ويستمر حنين بن إسحق فى العصر العباسى الثانى فى تقديم ترجماته من الكتب الطبية إلى العربية "وقد ترجم لجالينوس منها عشرات إلى العربية والسريانية، غير ما أصلحه لتلاميذه من آثار ما ترجموه إلى اللغتين. . . وكان ابنه إسحق (ت: ٢٩٨هـ) يعنى بترجمة الكتب الحكيمية والفلسفية. . . ولذلك كثرت ترجماته

لأرسطو وإقليدس وأرشميدس وبطليموس. أما حبش فبنى مثل خاله بترجمة الكتب الطبية، واشتهر أصطفن بأنه أول من ترجم كتاب ديبوسقريدس فى النبات وكتاب أوديا سيوس فى الأدوية المفردة^(٢٦) إلى جانب حنين وابنه وابن أخته كان هناك ثابت بن قره المتوفى سنة ٢٨٨هـ "ومن أهم ما ترجمه كتاب الأصول" لإقليدس، ويقول ألدوميللى إن النص العربى يصلح النص الإغريقى فى مواضع مختلفة، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيقولاوس، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية، وكان له أثر كبير فى لائنية العصور الوسطى كما يقول ألدوميللى ومن مصنفاته "الذخيرة فى الطب" ألفه لابن سنان^(٢٧).

وتوقف فى العصر العباسى الثانى عند أسماء تسعة أعلام ضخمة نقلت إلى العربية كل الموجود العلمى لدى اليونان والإغريق وكل من جاور بلاد المسلمين وقتها. ولقد لعبت العقلية النقدية لبعض هؤلاء المترجمين - إن لم يكن معظمهم - دورها فى الإضافة والتهديب لما يترجمون والمشاركة بجديد، لذا لم يقتصر دورهم على الترجمة فقط. فقد كانوا علماء وباحثين يدرون تماماً مايفعلون، لذا كانت الإضافة أمراً طبيعياً بل متوقفاً. وهذا ما نفتقده الآن فى ترجمة العلوم، فنحن نوكل الأمر إلى مترجم لاعلاقة له بالعلوم فتأتى ترجمته مجرد حروف عربية لاعمى علمياً لها، أو أن نوكل الأمر إلى العلماء على اعتقاد أنهم متخصصون فتأتى ترجماتهم جامدة ذوت فيها حلاوة اللغة العربية. وما ينقصنا هو نوعية هؤلاء المترجمين الذين جاؤوا فى العصرين العباسيين الأول والثانى، فإلى أديهم الجمل ولغتهم الجزلة كان لديهم دقة العالم وإلمامه بالموضوع الذى يترجم فيه. أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى (ت بعد: ٢٣٢هـ)، عبد الله بن خرداذبة (ت: ٢٨٠هـ)، أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى، جعفر بن محمد أبو معشر البلبخى (ت: ٢٧٢هـ)، الفضل بن حاتم النيريزى (ت: ٣١٠هـ)، محمد بن حابر بن سنان الشهير بالبستانى (ت: ٣١٧هـ)، أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (ت: ٣١١هـ)، الكندى يعقوب بن إسحق (ت: نحو ٢٦٠هـ)، الفارابى أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان (ت: ٣٣٩هـ) - أسماء لا يمكن الحديث عن الترجمة

الإبداعية، بمفهوما الذي قدمناه في صدر هذه الدراسة، دون التوقف عندها والإشارة إلى دورها الإبداعي في مجال العلوم.

لقد قدم الخوارزمي شروحاً على كتاب إقليدس في الهندسة وكتاب بطليموس في الجغرافيا. وابن خردزابه وضع كتاب "المسالك والممالك" المعتمد على كتاب بطليموس في الجغرافيا. أما الفرغاني فقد وضع "أصول الفلك" الذي ترجم إلى اللاتينية أكثر من مرة حتى عصر كوبرنيكوس والبلخي الذي "كان له تأثير واسع في العرب ومسيحي العصور الوسطى، وترجمت له كتب كثيرة إلى اللغة اللاتينية"^(٢٨). والنيريزي الذي كان "متقدماً في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركات النجوم وله شروح على أصول إقليدس ترجمها جيرادو دي كريمونا ونشرها كورتزه في ليبزج سنة ١٨٩٩"^(٢٩). وقد كان لمحمد بن جابر سنان الشهير بالبتاني "زيج ضمنية أرصاد النيرين وإصلاح الحركات المثبتة لهما في كتاب المجسطى لبطليموس. وترجم ريعة إلى اللاتينية، وقد لخص نلينو أهمية مباحثه الفكرية وتصحيحه لبطليموس كثيراً من أخطائه في دراسته القيمة عنه بدائرة المعارف الإسلامية"^(٣٠). وترجم كتاب "الحيوان" لأرسطو الذي ألف الجاحظ كتابه "الحيوان" على نمطه.

إلا أن الرازي والكندي والفارابي يقفون بنتائجهم الفكرى المتميز مثلاً أكثر قوة وتأيداً لما ذهبنا إليه من وظيفة الترجمة ودورها الإبداعي، فقد ترجمت كثير من كتب الرازي إلى اللاتينية "وظل حجة الطب غير مدافع حتى القرن السابع عشر... وترجم له أيضاً إلى اللاتينية مراداً كتابه في الجدرى والحصبة، وهو بحث طبى رائع فى البوابات. وله ترجمات حديثة إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ولم يعن بالطب الجسمى وحده فقد عنى أيضاً بالطب النفسى، إذ ألف كتاباً فى الطب الرومانى نشرته جامعة القاهرة"^(٣١).

ولقد أثر الكندي فى أسلوب روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) وهو فيلسوف وعالم إنجليزى له دوره الثورى فى تطوير الفكر الإنجليزى وإخراجه عن تقليديته الكنسية فى ذلك الوقت إلى نهضة يدين لفضلها حتى يومنا هذا. ويذكرنا برتراند

راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) بفضل العرب على روجر بيكون، وأنه إلى جانب كون الأخير "خريج أكسفورد وأنه درس في باريس، وأنه اكتسب معرفة موسوعية في كل أنحاء المعرفة، تشبه طريقة الفلاسفة العرب في الماضي" (٣٢). إلا أنه يشكك في موثوقية الترجمات من العربية مما جعل بيكون يعود لقراءة الأصول. والواقع أن كثيراً من أعمال الكندي ترجم إلى اللاتينية "وقد يفهم من بعض ما كتبه ابن أبي أصيبعة وغيره أنه كان يترجم عن اليونانية والسريانية، ويرى الباحثون أنه لم يكن يعرفها، إنما كان يصلح ويصحح بعض ما ترجم عنهما، وله تهذيبات لكثير مما ترجم وله أيضاً شروح وتعليقات" (٣٣) وهذا مما يفسر ما ذهب إليه برتراندراسيل من تشكيك في "عدم موثوقية" الترجمات التي وقع عليها دوجر بيكون مما اضطره إلى العودة إلى الأصول. لكن راسيل لم يوضح إلى أي أصل، وأي لغة رجع بيكون، هل كان كافياً لإثباته فكراً أم لا. ونحن نميل إلى أن بيكون لم يجد ضالته في الأصول اللاتينية واليونانية - التي نرجح أنه رجع إليها حيث هما لغة العلماء في ذلك الوقت - إنما وجدها عند الكندي، لأنه كان يضيف ويصحح وينقح لما وصله مترجماً، فهو مبدع ولذا كان أثره قوياً في روجر بيكون.

والفارابي - آخر من نعتبر فكره، في هذه الدراسة، نتاجاً للترجمة الإبداعية - يمثل الإتجاه العقلي في الفلسفة. وهو قد وقع تحت تأثير أرسطو وأفلاطون وقد كتب "آراء أهل المدينة الفاضلة" على غرار "الجمهورية" لأفلاطون. إلا أن كتاب الفارابي جاء نسخة إسلامية واعية تدل على حسن المتلقى ومعرفته بما يريد من العمل المنقول. ويعلن الفارابي في كتابه "أن الحاكم ينبغي أن يكون مستحلياً بكل الفضائل الإسلامية والفلسفية متجنباً اللذات الجسمية، إذ فيه تتمثل المدينة بخيرها وشرها، فإذا كان خيراً فاضلاً كانت المدينة فاضلة، وإذا كان شريراً فاسقاً انهارت المدينة وفسد الحكم فيها فساداً شديداً. . . ونحن إنما لمسنا السطح فقط لننصوّر فلسفة الفارابي، وهي فلسفة إسلامية عقلية استمدت من روحانية الإسلام ومن نظريات العقل ومن أفكار الفلاسفة وخاصة أرسطو وأفلاطون ما رجة بين هذه العناصر جميعاً مستخلصة منها فلسفتنا الإسلامية الوسيطة وأصولها السديدة" (٣٤).

- - - -

إن الترجمة الإبداعية لا تكون لها تلك الصفة الإلتوافر ظروف معينة حددناها في قدرة الأدب المتلقى على استيعاب ما يرد إليه، مع ملاحظة أن وجود هوة

حضارية بين المنقول والمتلقى قد تؤثر سلباً فنهز أكتافنا قائلين "مالنا ولهذه الحضارة المتقدمة جداً"، وقد تؤثر إيجاباً فنستجيب بشحن الهمم والعمل جادين فلا نلزم بالمدى الآخر فقط ولكن، أيضاً، نبدع ونضيف وهذا ما رأيناه في أعلام العصر العباسي الثاني الذين أطلنا الحديث عنهم وعن أعمالهم. الترجمة الإبداعية في الحالة العربية ظاهرة فريدة تستحق مزيداً من التوقف أمام مراحل ثلاث : عمل مترجم إلى العربية خضع للخواص النوعية والكمية للأدب العربي، والمرحلة الثانية التي أندمج فيها المترجم في الوجود العربي وهو ما أسميناه أدب المتلقى وكان العصر العباسي الأول مثلاً له، ومنه امتد إلى علوم العرب في العصر العباسي الثاني ليشمل بذلك العلوم والآداب؛ والمرحلة الثالثة حيث أخذ هذا الوجود العربي الترجمات وضمها واستوعبها وبعدها نُقِلَ إلى اللغات الأوروبية مترجماً لتنهل منه أوروبا. فالترجمة الإبداعية في هذه المراحل الثلاث تمثل إطاراً فريداً لتلاقى الفكر الإنساني وإستفادة الجنس البشري؛ من خلال اللغة، من علم وفن الآخر.

هوامش :

- ١ - Dionyz Dorsin , *Theory of Literary Comparatistics* (Bartislava : Publishing House of the Slovak Academy of Sciences . 1984), P136.
- ٢ - د. مراد وهبة، "فولتير ثمرة عصره"، مجلة إبداع (العدد ٨، أغسطس ١٩٩٤)، ص ٢٧ - ٣٠.
- ٣ - د. محمد غنيمي هلال، "الأدب المقارن" (القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧)، ص ١٢٧.
- ٤ - W. Macneile & H. J. C. Grierson, *The English Parnassus* (London : Oxford University Press , 1952), p. 748.
- ٥ - د. غنيمي هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٣١.
- ٦ - Dionyz Dorsin, *Theory of Literary Comparatistics*, P. 134.
- ٧ - *Ibid.* , P. 137.
- ٨ - د. فوزى عطيه محمد، "علم الترجمة : مدخل لغوى" (القاهرة : دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٩)، ص ٦٢.
- ٩ - Dionys Dorsin, *Theory of Leiteary Comparatistics*, PP. 130-133.
- ١٠ - جريدة "الشرق الأوسط"، العدد ٥٩٧٣ : ٤ إبريل ١٩٩٥.
- ١١ - *Op. Cit.*, Dionyz Dorsin , p. 142.
- ١٢ - *Ibid.*, p. 142.
- ١٣ - د. فوزى عطيه، "علم الترجمة"، ص ٦٢.
- ١٤ - د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٣ : العصر العباسى الأول" (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٦)، ص ١١٣.
- ١٥ - د. غنيمي هلال، "الأدب المقارن"، ص ١٢٧.
- ١٦ - د. أحمد زكى، عن "الف ليلة وليلة"، "فصول" (شتاء ١٩٩٤)، ص ٢٣.

١٧ - المؤلف : فرانس دوفنتال، ترجمة حسين مؤنس وإحسان العمد (الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٨).

١٨ - د. أحمد زكى، "فصول"، (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٤.

١٩ - د. فاطمة موسى، "مخطوطات ألف ليلة وليلة فى مكتبات أوروبا : مخطوطات متناجو بأكسفورد"، "فصول" (شتاء ١٩٩٤)، ص ٥٠.

٢٠ - د. أحمد كمال زكى، فصول (شتاء ١٩٩٤)، ص ١٥.

٢١ - السابق : ٢٢ - ٢٣.

٢٢ - كاتارينا مومزن، "جوته والعالم العربى"، ترجمة د. عدنان عباس على ومراجعة د. عبد الغفار مكاوى (الكويت : عالم المعرفة ١٩٤، ١٩٩٥)، ص ٢٥.

٢٣ - السابق : ٢٧.

٢٤ - د. شوقى ضيف، "العصر العباسى الأول"، ص ١١٣ - ١١٤.

٢٥ - د. شوقى ضيف، "تاريخ الأدب العربى ٤ : العصر العباسى الثانى" (القاهرة : دار المعرف، ١٩٧٣)، ص ١٣١.

٢٦ - السابق : ١٣٣.

٢٧ - السابق : ١٣٣ - ١٣٤.

٢٨ - السابق : ١٣٦.

٢٩ - ٣٠ - السابق : ١٣٦.

٣١ - السابق : ١٣٨.

Bertrand Russell, *Wisdom of the West* (London : Fawcett World Library, 1966), P. 207.

٣٣ - شوقى ضيف، "العصر العباسى الثانى"، ص ١٣٩.

٣٤ - السابق : ١٤١ - ١٤٢.

ترجمة المصطلح النقدي

ترجمة المصطلح النقدي إحدى إشكاليات الترجمة إلى العربية. وهي تشغل بال المهتمين بإيجاد معادل عربي لمصطلحات النقد في اللغات الأخرى، وأقربهما إلينا الإنجليزية والفرنسية. ولقد كان للأستاذ الدكتور مجدى وهبة محاولة فريدة في هذا الصدد، فقد أصدر في عام ١٩٧٤ "معجم مصطلحات الأدب" وهو باللغتين الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى العربية. ولم يتوقف مجدى وهبة عند حد المصطلح النقدي فقط، إنما تعداه إلى ما هو أبعد منه بكثير، فجاء معجماً شاملاً لكل مصطلحات الأدب في الإنجليزية ومقابلها الفرنسي ثم ما يمكن أن يقابله في العربية، وذلك ما يعلنه وهبة في تمهيدته حيث يقول: "برغم أن هذا المعجم قد عني أساساً بالمصطلحات الأدبية الخالصة إلا أن الباحث سيعثر في ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية أو فنية، وذلك لأن المعارف الإنسانية قد اتخذت في بدء أمرها شكلاً موسوعياً قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع. على أننا لانستطيع أن نضع حداً فاصلاً بين ألوان المعرفة بعضها وبعض. فأرسطو فيلسوف وأديب، وابن جرير الطبري مؤرخ وأديب، وعمر بن الفارض متصوف وشاعر، وللخوارج والشيعة والمعتزلة والمتصوفة في الإسلام أدب، والبلاغة العربية، قبل أن تحجزها قواعد أرسطو بصيرورتها علماً من العلوم، كانت من صميم الأدب، بل كانت هى الأدب بعينه وهكذا الحال عند جميع الأمم والشعوب مهما اختلفت أجناسها وأسراتها اللغوية"^(١). وقد التزم وهبة في ترتيب معجمه بالأبجدية الإنجليزية والفرنسية، معطياً شروحات وافية بالإنجليزية والفرنسية والعربية.

وبعد ذلك قدم الأستاذ جبور عبد النور "المعجم الأدبي" في عام ١٩٧٩ وهو يقدم المصطلح الأدبي والنقدي مرتباً حسب الحروف الأبجدية العربية ثم يعطى مقابل المفردة الفرنسية فقط ولا يعطى شرحاً بالفرنسية ولكن يعطى شرحاً بالعربية يتراوح بين الموجز والوافي. وينقسم معجم عبد النور إلى جزئين رئيسيين: الأول: "مصطلحات الأدب"، والثاني: "آداب ومؤلفون وكتب". فى الجزء الأول "يسوق المصطلحات الأدبية، أو بالأحرى ما اخترناه منها، ويجلو أبعادها المعنوية ضمن اختصاص معين، مع الإشارة إلى ما قد تتضمنه من مدلولات أخرى واقعة خارج نطاقها الأصلي فتتلاقى على صفحاتها ألفاظ مائتسر لها، من قبل، المثول فى

المعاجم التقليدية، إما لأنها معربة حديثاً، وإما لأن اشتقاقها القياسى لم يسبغ عليها هوية معترفاً بها. وأوردنا فيه مفردات لها مفهوم أدبى ضعيف الصلة بالمفهوم المعجمى العام بعد أن تطورت عبر الأيام فى أقلام الكتاب، فنصل معناها القديم، وزها معناها الجديد طاغياً على ماسبقه، وحاولنا قدر استطاعتنا، وضمن النطاق الضيق الذى جلنا فيه، الكشف عن أشهر المذاهب والمدارس، والتيارات الأوروبية، والإلماح العابر إلى ارتباطها بخلفيات فلسفية أو فنية شاملة^(٢). أما الجزء الثانى فهو، كما يقول المؤلف "نظرة بانورامية وخاطفة على مجموعة من الآداب العالمية فى تطورها المتنامى من جاهلية الشعوب إلى أوج تحضرها، مهياً ذهن القارئ من خلال المقدمات ونماذج الآثار والشخصيات، لانطباع محسوس، ولاستشفاف فيض الآداب وغناها وتناضحها وتفاعلها..."^(٣) والجزء الثانى يخلو من المصطلح النقدي المعروف إلا أنه يأتى عرضاً عند الحديث عن إحدى المدارس الفنية أو النقدية ضمن الحديث العام عن أدب أمة أو فكر كاتب، أو عند استعراض أحد الكتب أو ما هو من طبيعة الجزء الثانى من هذا المعجم.

وهذان العملان يتميزان بأنهما معجمان شاملان لمصطلحات الأدب والفكر عموماً، ويأتى المصطلح النقدي ضمن الجزئيات الأخرى التى يغطيانه. إلا أن هذين المعجمين، نظراً للفاصل الزمني الذى يفصلنا عنهما، لايفيا بحاجة الناقد العربى أو حتى القارئ العربى فيما يخص النقد المعاصر وما تموج به مدارسه من مصطلحات ومسميات. ونظراً لأن مؤلفاتنا النادرة، مثل هذين المؤلفين، لانوليتها أى رعاية بعد وفاة مؤلفيها، أو حتى بعد صدور الطبعة الأولى، فإن مافيها يتوقف عند ستينات القرن الحالى ولايتعداه ليشمل مصطلحات النقد المعاصر. ونأمل أن يأتى اليوم الذى يتبع فيه ناشرونا أسلوب النشر فى الغرب من حيث تطوير الطباعات الأولى لمثل تلك المعاجم فيضيفون عليها كل ما يستحدث، ولا حرج أن يذكر اسم محررى المواد الحديثة والمعاصرة التى تضاف إلى تلك المعاجم. فلو اتبع الغرب أسلوبنا فى التعامل مع المعاجم، لتوقف قاموس وبستر Webster وأكسفورد Oxford مثلاً عند طبعتهما الأولى ولواجهها مصير المعاجم العربية فى الماضى والحاضر.

ولقد جاءت ترجمة "موسوعة المصطلح النقدي" التي قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة محاولة جادة فى سبيل وصلنا بالمصطلح النقدي المعاصر فى الأدب الإنجليزى^(٤)، وهذه الموسوعة تنقسم إلى ثلاثة مجلدات. **الاول** : **المأساة، الجمالية، الرومانسية، المجاز الذهني. الثاني** : **اللامعقول، الهجاء، التصور الخيال، الوزن والقافية والشعر الحر. الثالث** : **الواقعية، الرومانسية، الدراما، الدرامى والحبكة. وتلك الموسوعة كما يتضح من موضوعاتها لاتصل بنا إلى المصطلح النقدي المعاصر الذى هو موضوع هذه الدراسة وهمها الرئيسيين.**

لذا نحيى ترجمة الأستاذ الدكتور جابر عصفور لكتاب رامان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) وكذلك كتاب الدكتور سعد البارعى والدكتور ميجان الرويلى "دليل الناقد الأدبى" (١٩٩٥) محاولتين جادتين للملاءمة الفراغ الذى لم يتمكن معجما مجدى وهبة وجبور عبد النور من ملئهما.

والدراسة هنا لاتنوى المقارنة الكلية بين المساهمات الأربع التى بين أيدينا (وهبة - عبد النور - عصفور - البارعى/الرويلى)، لكنها تهدف إلى مقارنة جزئية بسيطة ألا وهى تناول المصطلح النقدي المعاصر فقط. وسيكون من الظلم أن نقارن بين معجمى وهبة وعبد النور من جهة وترجمة عصفور ودليل البارعى/الرويلى من جهة أخرى. فالمقارنة لا تكون صحيحة إلا عند توحيد الأعمال موضوع المقارنة من حيث المحتوى والشكل. يقول الدكتور جابر عصفور فى مقدمة ترجمته لرامان سلدن : "وعنوان الكتاب الأصلى، دليل القارئ إلى النظرية المعاصرة، وهو دليل جيد بالفعل. فبعد المدخل النظرى الذى يطرح فيه المؤلف تأسيساً لكيفية تصنيف النظريات المعاصرة، معتمداً فى ذلك على النموذج المنهجى الذى تقوم عليه دراسة رومان باكسون لما أسماه "الحدث الكلامى"، يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها "معطف جوجول" الذى تتابعت منه أحلام البحث عن منهج علمى، أو عند تأسيس علم لدراسة الأدب. وتتلحق النظريات والمداخل، من النظريات الماركسية القديمة قدم "رأس المال" والجديدة جدة كتابات إيجلتون وفردريك جيمسون. والنظريات البنيوية التى تحتل مكانة

متواضعة في الكتاب بعد أن تصاعد موج نظريات ما بعد البنيوية منذ أوائل السبعينيات، والنظريات التي تتوجه إلى القارئ وأخيراً النقد النسائي^(٥). هذا، ويورد رمان سلدن سبعا وتسعين مصطلحاً نقدياً وَفَّقَ الدكتور عصفور في ترجمتها أيما توفيق، وكان الشرح والتعريف المرافقان لكل مصطلح كافيين لإبعاد الغموض أو الإيهام عن أى منهما. ورغم أن الأمثلة التي استخدمها سلدن تخدم النص الإنجليزي إلى أبعد حد إلا أن ترجمتها إلى العربية كانت لاتعنى كثيراً لقارئ لا يعرف الإنجليزية. لذا اضطر عصفور في أكثر من مرة إلى استخدام مقابلات عربية للأمثلة اللغوية في نص رمان سلدن - والمصطلحات التي وردت في ترجمة عصفور هي كالتالي:

- | | |
|-------------------|--|
| - التشييديون. | - الشكلية. |
| - البنيويون. | - النقد الماركسي. |
| - النقد الجديد. | - الخطاب. |
| - اللغة العملية. | - النمط المونولوجي. |
| - التغريب. | "الوحيد الصوت" للرواية. |
| - آلية الوقع. | - النمط الديالوجي "متعدد الأصوات. للرواية. |
| - إماطة اللثام. | - الكرنفال. |
| - القص. | - محاورات سقراط. |
| - الحبكة. | - الأهجية الملمينية. |
| - التحفيز. | - العالم العلوي (الأولبي). |
| - الواقعية. | - العالم السفلي. |
| - تطبيع النص. | - الأرضي. |
| - أدبية الرواية. | - الوظيفة الجمالية. |
| - العنصر المهيمن. | |

ولقد جاءت ترجمة "موسوعة المصطلح النقدي" التي قام بها الأستاذ الدكتور عبد الواحد لؤلؤة محاولة جادة في سبيل وصلنا بالمصطلح النقدي المعاصر في الأدب الإنجليزي^(٤)، وهذه الموسوعة تنقسم إلى ثلاثة مجلدات. **الاول** : المأساة، الجمالية، الرومانسية، المجاز الذهني. **الثاني** : اللامعقول، الهجاء، التصور الخيال، اللون والقافية والشعر الحر. **الثالث** : الواقعية، الرومانسية، الدراما، الدرامي والحبكة. وتلك الموسوعة كما يتضح من موضوعاتها لاتصل بنا إلى المصطلح النقدي المعاصر الذي هو موضوع هذه الدراسة وهمها الرئيسيين.

لذا تجئ ترجمة الأستاذ الدكتور جابر عصفور لكتاب رمان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة" (١٩٩١) وكذلك كتاب الدكتور سعد البازعي والدكتور ميجان الرويلي "دليل الناقد الأدبي" (١٩٩٥) محاولتين جادتين ملء الفراغ الذي لم يتمكن معجما مجدى وهبة وجبور عبد النور من ملئهما.

والدراسة هنا لاتنوى المقارنة الكلية بين المساهمات الأربع التي بين أيدينا (وهبة - عبد النور - عصفور - البازعي/الرويلي)، لكنها تهدف إلى مقارنة جزئية بسيطة ألا وهي تناول المصطلح النقدي المعاصر فقط. وسيكون من الظلم أن نقارن بين معجمي وهبة وعبد النور من جهة وترجمة عصفور ودليل البازعي/الرويلي من جهة أخرى. فالمقارنة لا تكون صحيحة إلا عند توحيد الأعمال موضوع المقارنة من حيث المحتوى والشكل. يقول دكتور جابر عصفور في مقدمة ترجمته لرامان سلدن : "وعنوان الكتاب الأصلي، دليل القارئ إلى النظرية المعاصرة، وهو دليل جيد بالفعل. فبعد المدخل النظري الذي يطرح فيه المؤلف تأسيساً لكيفية تصنيف النظريات المعاصرة، معتمداً في ذلك على النموذج المنهجي الذي تقوم عليه دراسة رومان ياكسون لما أسماه "الحدث الكلامي"، يتوجه المؤلف إلى النظريات المعاصرة نفسها، فيعرض للشكلية الروسية بوصفها "معطف جوجول" الذي تتابعت منه أحلام البحث عن منهج علمي، أو عند تأسيس علم لدراسة الأدب. وتتلاحق النظريات والمداخل، من النظريات الماركسية القديمة قدم "رأس المال" والجديدة جدة كتابات إيجلتون وفردريك جيمسون. والنظريات البنيوية التي تحتل مكانة

متواضعة فى الكتاب بعد أن تصاعد موج نظريات ما بعد البنيوية منذ أوائل السبعينيات، والنظريات التى تتوجه إلى القارئ وأخيراً النقد النسائى^(٥). هذا، ويورد رمان سلدن سبعا وتسعين مصطلحاً نقدياً وفُقَ الدكتور عصفور فى ترجمتها أيما توفيق، وكان الشرح والتعريف المرافقان لكل مصطلح كافيين لإبعاد الغموض أو الإبهام عن أى منهما. ورغم أن الأمثلة التى استخدمها سلدن تخدم النص الإنجليزى إلى أبعد حد إلا أن ترجمتها إلى العربية كانت لاتعنى كثيراً لقارئ لا يعرف الإنجليزية. لذا اضطر عصفور فى أكثر من مرة إلى استخدام مقابلات عربية للأمثلة اللغوية فى نص رمان سلدن - والمصطلحات التى وردت فى ترجمة عصفور هى كالتالى:

- | | |
|-------------------|-----------------------------|
| - التشييدون. | - الشكلية. |
| - البنيويون. | - النقد الماركسى. |
| - النقد الجديد. | - الخطاب. |
| - اللغة العملية. | - النمط المونولوجى |
| - التغريب. | - "الوحيد الصوت" للرواية. |
| - آلية الوقع. | - النمط الديالوجى "متعدد |
| - إمالة اللثام. | الأصوات للرواية. |
| - القصص. | - الكرنفال. |
| - الحبكة. | - محاورات سقراط. |
| - التحفيز. | - الأهجية الميمنية. |
| - الواقعية. | - العالم العلوى (الأولمبى). |
| - تطبيع النص. | - العالم السفلى. |
| - أدبية الرواية. | - الأرضى. |
| - العنصر المهيمن. | - الوظيفة الجمالية. |

- المتتالية الأدبية (النسق).
- المتتالية التاريخية.
- الواقعية الاشتراكية السوفيتية.
- نبذ الولاء للحزب.
- خاصية الشعبية.
- الانعكاس.
- تيار الوعي.
- علم الجمال الماركسي.
- مدرسة فرانكفورت.
- الماركسية البنيوية.
- البنيوية التوليدية.
- الحركة الجنسية.
- نظريات التفكيك (ديريدا - بول دي مان).
- الصوفية المادية.
- النظريات الفرويدية (لاكان).
- النقد الجدلي الماركس (جيمسون).
- المستطيل السيميوطيقي (جريماس).
- التفسير المتجاوز للنص.
- التفسير المحايث.
- العملية الأوديبية.
- اللاوعي السياسي.
- المهاد اللغوي (دى سوسير).
- السيميوطيقا.
- التحليل الفونيمي - الصوتي (مارى دوجلاس وكلود ليفى شتراوس).
- النظرية البنيوية للنص (تودورف وبروب).
- ميثيمات mythemes (شتراوس).
- الإدماج.
- الحُبسة : اعتلال المجاورة واعتلال المشابهة (ياكوبسون).
- القطب الإستعارى.
- القطب الكنائى.
- الشعرية البنيوية (جوناثان كولر).
- الشفرة الدلالية (رولان بارت).
- الشفرة الرمزية (رولان بارت).
- الفعل المشفر (رولان بارت).
- الذات القائلة (جاك لاكان).
- التكثيف.
- الاستعارة.

- الإحلال .
- إعادة التجسيم (جيفرى هارتمان) .
- الكناية (جاك لاكان) .
- النسق المفهومى (جاك ديريدا) .
- عمى البصيرة النقدية (بول دى مان) .
- نزعة مركزية اللوجوس (جاك ديريدا) .
- الخطاب والقوة (ميشيل فوكو، إدوارد سعيد) .
- نزعة مركزية. الصوت (جاك ديريدا) .
- نظرية الخطاب (إدوارد سعيد) .
- التراتب القهرى (جاك ديريدا) .
- نظرية استجابة القارئ (أمبرتو إيكو) .
- تكمله (ديريدا) .
- المروى عليه (جيرالد برنس) .
- الإبعاد (جاك ديريدا) .
- الفينومينولوجيا، فلسفة الظواهر (هوسرل) .
- نقص التراتب (بول دى مان) .
- قارئ مضمّر .
- الخاصية النصية (بول دى مان) .
- قارئ فعلى (آيزر) .
- المجازات الرئيسية الأربعة (كينيث بيرك - هارولد بلوم) .
- آفاق التوقعات (ياوس) .
- التقيّد، الاستبدال، التمثيل (هارولد بلوم) .
- نظرية التأويل، الهرمينوطيقا (جادامر) .
- قلق التأثير (هارولد بلوم) .
- أسلوبيات العاطفة (فيش) .
- التواطؤ الشعرى (هارولد بلوم) .
- المقدرّة الأدبية (ميشيل ديفاتير) .
- أعراف القراءة (جوناثان كوللر) .
- معدلات المراجعة : المخالفة : التفصيل، الهجر، حسن الإتياع (هولاند/بلايخ) .
- علم نفس القارئ .
- المران .

لا يشمل المصطلح النقدي أو الأدبي فقط كما يعلن في تمهيده الذى اقتطفناه منذ قليل، ولكن يتعداه ليشمل كافة المصطلحات الفنية والفلسفية والجمالية التى يمكن أن يقع عليها كل من القارئ والأديب والناقد، لذا قارب عدد مصطلحاته الألفين. أما جبور عبد النور فقد أورد فى الجزء الأول "مصطلحات الأدب" ما يقارب التسعمائة مصطلحاً، وفى الجزء الثانى "آداب ومؤلفون وكتب" فلا ذكر للمصطلح النقدي إلا عرضاً، كحديثه مثلاً عن مدارس النقد المختلفة فهو يستعرضها استعراضاً سريعاً دون التوقف عند مفاهيمها أو أقطابها أو كتبهم التى تنظر لتوجهاتهم النقدية. ووصولاً إلى عصفور نجد عدد المصطلحات النقدية يقل بعض الشيء فيصل إلى سبع وتسعين وذلك لأن مجال كتاب عصفور يغطى فقط النظرية الأدبية المعاصرة، وهو بهذا يحدد لنفسه رقعة لا يتعداها ليشمل مصطلحات أو مفاهيم تخرج عن هذا النطاق ثم يجئ كتاب البازعى/ الرويلى وفيه خمسة وأربعون مصطلحاً نقدياً فى معظمها مصطلحات معاصرة، لم يرد منها إلا سبع فى معجم وهبة، كما أن أربعة فقط منها ترد فى معجم عبد النور^(٩). كما أن اثنين وعشرين مصطلحاً منها موجودة فى ترجمة سلدن^(١٠).

وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الرويلى
	ج ١: مصطلحات الأدب	ج ٢: آداب ومؤلفون وكتب		
١٩٢٧	٨٦٤	—	٩٧	٤٥

جدول (أ) : إجمالى عدد المصطلحات النقدية المستخدمة

فى المؤلفات الأربع.

- النظام الأبوى (كيت ميلليت). - منطق خطاب القضيب (جوليا
- مركزية القضيب (إرنست كرسيفا - هيلين سيكسوس).
- جونز). - اللاوعى الأنثوى المتدفق (هيلين
- الاختلاف الجنسي (لاكان - سيكسوس).
- جين جالوب).

ولا تتوقف عملية تحديث الموجود النقدي عند محاولة عصفور، لكنها تستمر إلى أن تصل إلى "دليل الناقد الأدبي" (١٩٩٥م) والذي يعلن مؤلفاه في مقدمته، بتواضع العلماء، أن ثمة وجه اختلاف بين كتابهما ومعجمي وهبة وعبدالنور "ويكمن وجه الاختلاف في أن ما نضعه بين يدي القارئ ليس قاموساً أدبياً كما هو الحال في ما ألفه مجدى وهبة في عمله التأسيسي. «معجم مصطلحات الأدب» (١٩٧٤م) أوجبور عبد النور في "المعجم الأدبي" (١٩٧٩م). فطموحنا في هذا الكتاب محدود جداً بالقياس إلى ذينك العلمين الضخمين" (٦).

أما عن منهج البازعي/ الرويلي في هذا الدليل فهو تقديم "مجموعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشائعة في النقد الأدبي المعاصر في عرض متوسط الحجم يفوق العرض المعجمي أو القاموس المقتصد في تفاصيله ولكنه لا يصل إلى مستوى المناقشة المستفيضة التي تتسم بها المقالات التحليلية" (٧). أما الجانب الثاني من منهجهما، وهذا ما يعطى ذلك الدليل شخصيته "المميزة" فهو الاتجاه نحو التفسير والتقويم "بعيداً عن وهم الموضوعية من ناحية، وبعيداً - قدر الإمكان أيضاً - عن المعالجة الأيديولوجية الفجة" (٨).

ويقدم جدول (١) في هذه الدراسة مجمل أعداد المصطلحات النقدية المستخدمة في المؤلفات الأربعة (وهبة - عبد النور - سلدن - البازعي/ الرويلي). والأرقام قد تثير الفزع عند مقارنتها. ولكن لذلك تبريره، فوهبة قدم معجماً

لا يشمل المصطلح النقدي أو الأدبي فقط كما يعلن في تمهيدته الذى اقتطفناه منذ قليل، ولكن يتعداه ليشمل كافة المصطلحات الفنية والفلسفية والجمالية التى يمكن أن يقع عليها كل من القارئ والأديب والناقد، لذا قارب عدد مصطلحاته الألفين. أما جبور عبد النور فقد أورد فى الجزء الأول "مصطلحات الأدب" ما يقارب التسعمائة مصطلحاً، وفى الجزء الثانى "آداب ومؤلفون وكتب" فلا ذكر للمصطلح النقدي إلا عرضاً، كحديثه مثلاً عن مدارس النقد المختلفة فهو يستعرضها استعراضاً سريعاً دون التوقف عند مفاهيمها أو أقطابها أو كتبهم التى تنظر لتوجهاتهم النقدية. ووصولاً إلى عصفور نجد عدد المصطلحات النقدية يقل بعض الشيء فيصل إلى سبع وتسعين وذلك لأن مجال كتاب عصفور يغطى فقط النظرية الأدبية المعاصرة، وهو بهذا يحدد لنفسه رقعة لا يتعداها ليشمل مصطلحات أو مفاهيم تخرج عن هذا النطاق ثم يجئ كتاب البازعى/ الروبلى وفيه خمسة وأربعون مصطلحاً نقدياً فى معظمها مصطلحات معاصرة، لم يرد منها إلا سبع فى معجم وهبة، كما أن أربعة فقط منها ترد فى معجم عبد النور^(٩). كما أن اثنين وعشرين مصطلحاً منها موجودة فى ترجمة سلدن^(١٠).

وهبة	عبد النور		عصفور	البازعى/ الروبلى
	ج ١: مصطلحات الأدب	ج ٢: آداب ومؤلفون وكتب		
١٩٢٧	٨٦٤	—	٩٧	٤٥

جدول (١) : إجمالى عدد المصطلحات النقدية المستخدمة
فى المؤلفات الأربع.

جدول (ب)
مقارنة ترجمة المصطلح النقدي

٢	المصطلح	وهبة	عبد النور		عصفور	البارعي/ الرويلي
			جـ ١	جـ ٢		
١	Comparative Literature	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن	—	الأدب المقارن
٢	Orientalism	—	الاستشراق	—	الاستشراق	الاستشراق
٣	Structuralism	التركيبية/ البنيوية	البنيوية	—	البنيوية	البنيوية
٤	Structural criticism	—	النقد البنيائي	—	النقد البنيوي	النقد البنيوي
٥	New Historicism	—	—	—	—	التاريخانية الجديدة
٦	Cultural Analysis	—	—	—	—	التحليل الثقافي
٧	Interpretation	التأويل	—	—	—	التأويل
٨	Hermeneutics	علم التأويل/ علم التخريج	—	—	نظرية التأويل/ التأويلية	الهيرمنيوطيقا
٩	Deconstruction	—	—	—	التفكيك	التفويضية
١٠	Trace	—	الأصل	—	—	الأثر الأصل
١١	Differ(A)nce	—	—	—	الاختلاف/ الإرجاء	الإختلاف (ت)لاف
١٢	Dissemination	—	—	—	—	الانتشار أو التشتيت
١٣	Interability	—	—	—	—	التكرارية
١٤	Supplemet	—	—	—	تكملة (إضافة/ استبدال)	الملحق/ الإضافة

(تابع) جدول (ب)
مقارنة ترجمة المصطلح النقدي

٢	المصطلح	وهبة	جـ ١	جـ ٢	عصفور	البازعي/ الرويلي
١٥	Discourse	الحديث/ الكلام الصحيح / الحث / الأطروحة	—	—	نظرية الخطاب	خطاب
١٦	Discourse analysis	—	—	—	—	تحليل الخطاب
١٧	Colonial Dis-course	—	—	—	—	الخطاب الاستعماري
١٨	Post-Colonial theory	—	—	—	—	النظرية ما بعد الاستعمارية
١٩	Translation Studies	—	—	—	—	الدراسات الترجمة
٢٠	Intercultural Studies	—	—	—	—	الدراسات العبر ثقافية
٢١	New Pargma-tism	—	—	—	—	الدراسات الجديدة
٢٢	Competence	—	—	—	المقرة	القدرة/ الكفاءة
٢٣	Literary Com-petence	—	—	—	المقدرة الأدبية	القدرة الأدبية/ الكفاءة الأدبية
٢٤	the axiety of Influence	—	—	—	قلق التأثير	قلق التأثير
٢٥	. Aporia	—	—	—	—	اللغزية/ العماية
٢٦	Post Modernity	—	—	—	—	ما بعد الحداثة
٢٧	Post Modern-ism	—	—	—	—	ما بعد الحداثة
٢٨	Effective Fal-lacy	—	—	—	—	المغالطة التأثيرية

(تابع) جدول (ب)
مقارنة ترجمة المصطلح النقدي

٢	المصطلح	وهبة	جـ ١	جـ ٢	عصفور	البارعي/ الرويلي
٢٩	Intentional fallacy	—	—	—	—	المغاطة القصصية
٣٠	Death of Author	—	—	—	موت المؤلف	موت المؤلف
٣١	Ecriture	—	—	—	—	النص أو الكتابة
٣٢	Lisible	—	—	—	نص القراءة	النص المقروء
٣٣	Scriptible	—	—	—	النص المكتوب	النص المكتوب
٣٤	Reader Response Reception Theory	—	—	—	نظرية استجابة القارئ	نظرية الاستقبال (أو استجابة القارئ)
٣٥	New Criticism	—	—	—	النقد الجديد	النقد الجديد
٣٦	Dialogical Criticism	—	—	—	—	النقد الحوارى
٣٧	Contextual Criticism	—	—	—	—	النقد السياقى
٣٨	Phenomenological Criticism	—	—	—	النقد لفينومينولوجى/ الفينومينولوجى وولوجيا فلسفة الظواهر	النقد الظاهرى/ الفينومينولوجى
٣٩	Marxist Criticism	—	—	—	النقد الماركسى	النقد الماركسى
٤٠	Feminist Criticism	—	—	—	النقد النسائى	النقد النسوى/ النسائى
٤١	Psychological Criticism	—	—	—	النقد النفسى	النقد النفسانى
٤٢	Psychoanalysis	التحليل النفسى	—	—	التحليل النفسى	التحليل النفسى

نقد النماذج العليا	_____	—	—	_____	Archetypal Criticism	٤٣
النقد الأسطوري	نقد الاسطورة ^(١١)	—	—	_____	Mythic Criticism	٤٤
الواقعية السحرية	_____	—	—	_____	Magic Realism	٤٥

جدول (ب) مقارنة ترجمة المصطلح النقدي

وعند مقارنة ترجمة المصطلح النقدي في الأعمال الأربعة موضوع الدراسة

نجد مايلي:

(أ) - بعض المصطلحات موجودة عند عصفور في ترجمته لرامان سلدن ولا يوجد أى منها عند وهبة أو عبد النور أو البارعى/ الرويلى. ومنها الوظيفة الجمالية^(١٢)، التشييدون^(١٣)، التغريب^(١٤)، إماطه اللثام^(١٥)، القصص^(١٦)، التحفيز^(١٧)، العنصر المهيمن^(١٨)، والأهجية المينية^(١٩) عند باختين لا يذكر البارعى/ الرويلى أى شئ عنها كذلك لا يذكر أى شئ عن مصطلح آخر وهو الكرنفالية^(٢٠) وهما من أسس مدرسة باختين.

(ب) - بعض المصطلحات توجد عند البارعى/ الرويلى فقط، ولا توجد عند وهبة أو جبور عبد النور أو عصفور ومنها: التاريخانية الجديدة، التحليل الثقافى، الانتشار أو التشتت، التكرارية، تحليل الخطاب الاستعمارى، النظرية مابعد الاستعمارية، الدراسات الترجمة، الدراسات عبر الثقافية، الذرائعية الجديدة، اللغزية/ العمية، مابعد الحدائية، ما بعد الحدائة، المغالطة التأثيرية، النص أو الكتابة، النقد الحوارى، النقد السياقى، نقد النماذج العليا، والواقعية السحرية. ونحن نفسر ذلك بأن عدم ذكرها لدى وهبة وعبد النور وكذلك عند عصفور يرجع إلى دخول تلك المصطلحات للتو إلى الساحة النقدية. ولو كانت موجودة سابقاً لما تقاعس أى من هؤلاء الأعلام عن إيرادها ضمن معاجمهم.

(ج) - تناولت الأعمال الأربعة بعض المصطلحات متفاوتة في شرحها وتحليلها والتمثيل لها. ونذكر هنا مثالين:

١- الأدب المقارن. فى حوالى عمود وربع من الصفحة ٨٠ يعرف الأستاذ الدكتور مجدى وهبة الأدب المقارن على أنه " ١ - المقارنة بين آداب أو مجموعات لغوية واحدة، أو مجموعة لغوية مختلفة. ٢ - دراسة التأثيرات الأدبية التى تتعدى الحدود اللغوية والجنسية والسياسية مثال ذلك : دراسة الرومانتيكية فى آداب مختلفة. . . وتشمل هذه الدراسة متابعة أساطير أو موضوعات معينة عبر العصور وفى بيئات مختلفة. وهذه الدراسة هى ما أسماه العلماء الألمان بتاريخ الموضوعات

Stoffsgeschichte. ومثال ذلك أسطورة "فاوست" أو "أورريس" أو "قصة شهرزاد" في آداب مختلفة. ويتعرض الأدب المقارن أيضاً لدراسة الشهرة الأدبية لأحد كبار الأدباء في بيئة غير بيئته وتأثير الآداب بعضها في بعض عن طريق حركة الترجمة، وتفاعل الأدباء مع المذاهب الأدبية المختلفة التي لا يمكن اعتبارها وليدة مجتمع واحد بالذات وذلك كالنزعة الواقعية أو الرومانتيكية أو غيرهما". ويتعرض بعد ذلك لتعريف بول فان تيجم للأدب المقارن على أنه "ذلك الفرع من الأدب الذي يعنى بدراسة تأثير أدب في آخر أو تأثره به فهو يتناول النتائج التي انتهت إليها تواريخ الآداب القومية فيكملها وينسقها ويضم بعضها إلى بعض في تاريخ أدبي أعم".

أما جبور عبد النور فيخصص فقرة واحدة من الصفحة ٣٧ ربيع الصفحة تقريباً) لتعريف الأدب المقارن "الأدب المقارن : قسم من تاريخ الأدب ظهر في انكلترا وألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر، الغاية منه دراسة الروابط بين مختلف الآداب في العالم والبحث في التيارات الفنية وبرورها في الآثار العالمية، وتعليل التشابه والتقارب بينها، على ضوء التاريخ والتحليل الأدبي والنفسي والاجتماعي والسياسي. ويفرض في التصدي لهذا العلم أن يتصف بميزات الناقد الناجح، وأن يكون ضليعاً في اللغات التي يعنى بأدائها". و د. جابر عصفور لا يذكر هذا المصطلح على الإطلاق.

أما دليل البارعى/ الرويلي فيخصص لهذا المصطلح سبع صفحات تقريباً فيها الكثير من الشروح والأمثلة وكذلك تاريخ الأدب المقارن. "تعود نشأة الأدب المقارن إلى أواسط القرن التاسع عشر حين انتشرت المقارنة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية كمنهج بحث معرفي في كثير من العلوم وفي مقدمتها العلوم البحثية. . . أما فيما يتصل بالدراسات الأدبية فيبدو أن الشعور بأهمية المقارنة أخذ يلح في نهايات النصف الأول من القرن التاسع عشر فكان من دلائل ذلك أن ألف الفرنسيان أيبل فرانسوا فيلمان وجان - جاك أمبير كتاباً في تاريخ الأدب تضمن بحثاً عن الروابط والتأثيرات بين الآداب الأوروبية. . الاعتقاد بكلية الظاهرة الأدبية

هو مايسم المدرسة الأمريكية فى الأدب المقارن، فى مقابل مدرسة أخرى هى المدرسة الفرنسية. . وتشترك المدرسة الروسية فى نقد القيود المنهجية على الدراسة المقارنة، خاصة وأنها تنطلق من أسس ماركسية أمية التوجه. . . على أن الاختلاف بين المدارس الأوروبية لم يبلغ التقاءها فى السنوات الأخيرة خاصة عند جملة من القواسم المشتركة، وفى طليعتها ميادين البحث الرئيسية، وهى التأثير والتأثير والتناظر (بين الأعمال أو الكتاب) ومايتصل بذلك من دراسة للمصادر وأنماط التلقى (أى الكيفية التى يُتلقى بها كاتب أو عمل ما فى بيئة مغايرة)، والترجمة، والأنواع الأدبية، والتيارات، والحركات، والموضوعات، والأشكال، والخيوط الناظمة (الموتيفات). . . لقد ظلت المؤلفات العربية فى هذا الحقل، وطوال العقدين أو الثلاثة الماضية، واقعة فى مجملها تحت طائلة التأثير الغربى سواء من الناحية المنهجية أو التطبيقية. . . ويتطرق بعد ذلك إلى دور الدراسات الترجمية ومابعد الاستعمارية "والمقصود بها الدراسات التى تبحث فى العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً ومايقع خارج الغرب من الدول وقعت تحت طائلة الاستعمار، مع ماتضمنه تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجياتها الخطائية على النحو الذى يبرزه إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق" (١٩٨٧) " (٢١).

٢ - الأثر الأصل. لم يرد هذا المصطلح عند وهبة أو عصفور على الإطلاق. أما عبد النور فيقول عنه "١- فنياً : إنتاج صادر عن الذهن و الموهبة، مثل : الكتاب، اللوحة، الأنشودة، التمثال إلخ. . . ٢- آثار الشاعر : كل ما ألفه، ونشط فى إبرازه إما فى مرحلة معينة، وإما طول حياته. ٣- تتعاون عادة فى تكوين الأثر الأدبى عناصر عدة لايتيسر حصرها لتشعبها وارتدادها إلى الجذور العرقية، والأمالى المعاصرة، غير أن أهمها يتحدد مباشرة من الفكر المبتكر للمعانى، والمنسق والموضح لها، ومن الانفعال المتمثل فى المشاعر، ومن الخيال المولد للصور الجديدة والتشابه والمقارنات ومن الأسلوب الذى يصوغ كل ذلك، ويبرزه فى أبرع عبارة وأبلغها. "إن عباقرة الفن ينتجون الآثار الفنية التى تنال إعجاب الجميع، على غير قاعدة أو مثال يقتفونه" (رور غريب، النقد الجمالى، ص ٧) - "إذا كان الأسلوب هو الذى ينم عن شخصية الخلاق ويعرف به، فليس هو فى الواقع الذى يضمنى على الأثر الأدبى الروعة ويجعله مستساغاً مفهوماً من

القراء' (الآداب، ١٩٧٢، ١، ٥٩) - 'من أولى المسلمات فى الحياة الأدبية أن يكون الأثر الأدبى لدى الكاتب تعبيراً عن رؤية متميزة إلى العالم' (الموقف الأدبى، السنة الأولى، ١، ٦) (٢٢). وهذا مفهوم عام بدائى بمقاييس النقد فى تسعينات هذا القرن. إلا أن هذا المصطلح يأخذ شكلاً أعمق عند البارعى والرويلى اللذين يخصصان له أربع صفحات ونصف الصفحة فى شرح عميق كأحد مصطلحات التقويمية. "يرتبط مفهوم الأثر فى التقويمية بمفهوم 'الحضور' و 'الحضور الذاتى' وينبع منهما النظرية الماورائية؛ أما بالنسبة إلى دريدا فهو يرى فى الأثر شيئاً يمحو المفهوم الميتافيزيقى للأثر والحضور (لا يمكن أن يقوم أى مفهوم سواء كان الأثر أو الحضور إلا على محو الأثر كما يصفه دريدا) . . . والأثر الأصل هو الإمكانية التكوينية للتلاعب المتبادل بين أطراف التضاد، بين الآن والآخر؛ باختصار : إن الأثر الأصل هو الإمكانية التكوينية لما يعرف عادة بالاختلاف. والأثر الأصل هو أدنى أو أصغر مستويات البنية الضرورية لإيجاد ما يمكن أن تحل هذه المصطلحات أو المفردات مكانة وتنوب عنه (أى إيجاد أية علاقة مع "الخارج") . . . ولما كان الأثر الأصل (فى الفكر الميتافيزيقى) يعد ثانوياً ومشتقاً من أصل ومضاد له، أى مضاد لمفهوم الحضور الكامل، فإن الأثر الأصل الذى يسمى "الاختلاف" بينهما كان لابد أن يكون اختلافاً قادراً فى هوية "الحضور الكامل" حتى يتيح لهذا الحضور تميزه كمحضور وكمضاد لمفهوم الأثر. . . وهكذا فإن الأثر الأصل يوحد فى آن حركة مزدوجة : حركة المرجعية (سواء كانت مرجعية إلى الذات أو إلى الآخر) وحركة انحراف الذات وتحويلها عبر الآخر. إن الأثر لابد أن يفهم على أنه "ثنية" الانعكاس أو الانكسار الراجع وغير القابل للاختزال، على أنه أقل وحدة اختلاف (الذات) ضمن الهوية الذاتية، "الثنية" التى تجعل الانعكاس يتحقق أو "يعود" إلى مصدره حتى تدرك الذات "ذاتها". وبدون وحدة البنية هذه لا يمكن أبداً، أن تتحقق الذاتية والحضور الذاتى من خلال تحويلية الذات كآخر نحو الذات" (٢٣).

من خلال الاستعراض السابق لترجمة المصطلح النقدى نستطيع القول أن محاولتى عصفور وكذلك البارعى/الرويلى رائدتان فى فك التعقيد البالغ للمشهد النقدى المعاصر. ولهما الريادة كذلك فى تبسيط المعارف النقدية وتقديمها للقارئ العربى مجنباً إياه الصدمة التى قد تصيبه من التراكم المعرفى غير العادى الذى تأتى

به مئات الدوريات والمجلات الأدبية التي لا تكف عن الإتيان بالجديد مع كل عدد يصدر منها فى كافة أرجاء المعمورة.

لكن تبقى مشكلة المصطلح النقدي قائمة، طالما بقيت عملية تناوله قائمة على أكتاف وجهود أشخاص فرادى. ولنا أن نتخيل لو أن المواد التى فى الأعمال الأربعة موضوع هذه الدراسة تكاملت فى معجم واحد يخضع لعملية تطوير وتنقيح سنوياً (وبالطبع، نحن نستثنى ترجمة كتاب سلدن، وإلا فنحن ندعو إلى السركة الأدبية) فالناتج سيكون معجماً ضخماً وافياً شاملاً لايؤثر فيه تقادم الزمن أو موت مؤلفه. ذلك أمل ورجاء لدى دور النشر العربية، أن يقوم محرروها بذلك العمل الثقافى الرفيع، ولا أظن أن ضرراً من أى نوع سيلحق بحقوق التأليف والنشر. فبدل أن يصبح معجم مجدى وهبة كلاسيكياً لتوقفه عند السبعينات، فإن عملية التنقيح والزيادة التى نقترحها ستجعل منه مرجعاً شاملاً متكاملأ، يغنيا كثيراً عن التأليف مرة تلو الأخرى. فالثابت أن كل فترة فى حياتنا النقدية تحتاج إلى معاجم بعينها، وعندما تنتهى تلك الفترة نكون بحاجة إلى معاجم جديدة، وتلك فى حد ذاتها عملية تراكمية تنتهى بفوضى استخدام المصطلح دون أى فرز أو انتقاء. ومما يزيد الأمر تعقيداً أن البعض يتبنى المعاجم التى تصدرها بلده، وذلك واضح من اختلاف المسميات والاصطلاحات النقدية بين المشرق والمغرب، وفى عقيدة البعض أن ما يقوله هو الصحيح فقط دون أى اعتبار للمعايير الموضوعية لاستخدام ذلك المصطلح والتى أولها أن يكون مقبولاً لدى الجماهير العريضة من المتلقين وألا يكون فيه غربة لغوية، فلماذا نقول هيرمنوطيكا وفينومونولوجيا ولدينا التأويل وفلسفة الظواهر؟ كما أن آخرها لن يكون التطبيق باستخدام أمثلة من أدبنا العربى، وذلك حديث آخر فالمنظرون والناقلون أكثر بكثير من الشارحين التطبيقيين، فالتنظير والنقل أسهل وأكثر أمناً.

هوامش :

- ١ - د. مجدى وهبة، "معجم مصطلحات الأدب" (بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٧٤)، ص Xii.
- ٢ - جبور عبد النور، "المعجم الأدبي: (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ص ٢.
- ٣ - السابق، نفس الصفحة.
- ٤ - جون جب، "موسوعة المصطلح النقدي" (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣).
- ٥ - رمان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة"، ترجمة د. جابر عصفور (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١)، ص ٦.
- ٦ - د. ميجان الرويلى و د. سعد البارعى "دليل الناقد الأدبي" (الرياض : العبيكان، ١٩٩٥)، ص ١٠.
- ٧ - السابق، نفس الصفحة.
- ٨ - السابق، ص ١١.
- ٩، ١٠ - أنظر جدول (ب) من هذه الدراسة. يعتمد جدول (ب) على المصطلحات التى وردت فى "دليل الناقد الأدبي"، فيضعها بالإنجليزية على اليمين ثم يضع ترجمتها العربية كما أوردها المؤلفان على يسار الجدول، ثم مقارنة ترجمة ذلك المصطلح - إن وجد - عند وهبة وعبد النور وعصفور. فالأساس هو استخدام المصطلح عند البارعى والرويلى.
- ١١ - يورده المؤلف فى المقدمة كمصطلح فقط ويعلن أنه قد استبعده إذ يبدو له "أن نقد الأسطورة لم يقتحم التيار الأساسى للثقافة الجامعية (الأكاديمية) أو الشعبية ولم يتخذ المسميات القائمة بالدرجة نفسها من القوة التى تحدثها بها النظريات التى سوف نعرض لها" (عصفور : ١٨ - ١٩) وهناك إشارة عابرة له عند الحديث عن نزعة التفكيك فى أمريكا (عصفور : ١٥٤).

- ١٢ - السابق، عصفور، ص ٤٢ .
١٣ - السابق، ص ٢٤ .
١٤ - السابق، ص ٢٧ .
١٥ - السابق، ص ٢٩ .
١٦ - السابق، ص ٣٠ .
١٧ - السابق، ص ٣١ .
١٨ - السابق، ص ٣٣ .
١٩ - السابق، ص ٤٠ .
٢٠ - السابق، ص ٣٩ .
٢١ - السابق، البارعي/الرويلي، ص ١٤ - ٢٠ .
٢٢ - السابق، جبور عبد النور، ص ٥ .
٢٣ - السابق، البارعي/الرويلي، ص ٥٥ - ٥٩ .

ملحق (أ)

تعريب العلوم.... وقضية التنمية (*)

د / الشاذلي القليبي

يشير موضوع تعريب العلوم مشاكل كثيرة، بعضها ذو طابع اجتماعي وبعضها يتعلق بتنظيمات وهياكل. فالمشكل الاجتماعي يتمثل في أن استعمال اللغة العربية لا يبدو ضروريا في نظر الكثيرين ممن يشتغلون بالعلوم، فكانهم يرون لغتهم قاصرة، إضافة إلى ما يعتقدون من عسرها البالغ فيسارعون إلى استعمال لغة أجنبية طالما يتعلق الشأن بمعلومات دقيقة أو اكتشافات علمية حديثة. والمعروف في البلاد المتقدمة أن رجال العلم يحسنون التكلم بلغتهم بتفوق. فلا يتصور أن يبلغ الواحد منهم الدرجات العليا في ميدانه، إذا لم يكن متضلعا من لغته قائما بدقائق نحوها وصرفها، قادراً على التعبير بها ارتجالاً دون لحن. راو من كان اللحن عادته - سواء من رجال العلم أو من رجال السياسة - فإن وسائل الإعلام تشهر به، ويصبح مضرب الأمثال لكن الأمر عندنا يختلف اختلافاً كلياً. فالذي يلاحظ في كثير من الأحوال هو أن عدداً غير قليل من الذين يشتغلون بالعلم عندنا لا يحسنون استعمال العربية. وبعضهم يجعل انتسابه إلى العلم عذراً عن اتقان اللغة. ومن هذا البعض من يعتقدون أن في إجادة لغة أجنبية مندوحة عن الإفصاح باللغة الوطنية. ولا نرى من يستسهل الاعتراف بجهله في أي حال، إلا إذا تعلق هذا الجهل باللغة العربية وقد نرى من يعلن قلة درايته بقواعد اللغة العربية في مثل التبجح، فيأتي اللحن ويراطن مخاطبيه في شيء من الخيلاء. والأثكى من كل ذلك أن المجتمع العربي يبدو قابلاً لهذه المعاذير، ضارباً صفحاً عن المؤاخذه باللحن وأنواع الرطانات، كان لسان حاله يقول: العربية أصعب من أن يضيع وقته في تحصيلها من له مسئوليات سامية يقوم بها، أو علم جليل ينكب عليه.

إن قدرة العربية على استيعاب المفاهيم العلمية وإيجاد الاشتقاقات المناسبة لها، أمر قامت عليه الحجج الساطعة.

ولقد برهنت العربية عن هذه القدرة في العصور التي كانت فيها تضطلع بزعامة البحث العلمي والإبداع الحضاري. والمكتبة العلمية العربية التي تعود إلى

(*) الأهرام : ٣٩٢٢٣ بتاريخ ٢٧/٤/١٩٩٤.

تلك العصور حافلة بالآلغاز والتعابير التي كانت تعد مرجعا بالنسبة إلى الأوساط العلمية في مختلف أنحاء العالم المتحضر، يقتبسون منها. ومن هذه المكتبة يمكن اليوم لرجال العلم العرب أن يستخرجوا معجما ضافيا يغطي الكثير من احتياجاتهم في مختلف المجالات.

وبقطع النظر عما تمتاز به العربية من خصائص فذة جعلتها لغة الدين والعلم والفلسفة والأدب والشعر، فإن فكرة قصور لغة ما عن أداء مفهوم جديد، علميا كان أو فلسفيا لا حجة تسندها، إذ نرى شعوبا شتى، صغيرة العدد أو كبيرة الحجم، تستخدم لغتها في تدريس العلوم، وفي البحث العلمي، وفي سائر المرافق التكنولوجية، دون أن يكون ذلك عائقاً لها في شيء.

من المشاكل التي تتعلق بتعريب العلوم نوع ثان يخص منهجية العمل في هذا المجال.

فتعريب الألفاظ العلمية الحديثة قد يكون بالرجوع إلى كتب العلم القديمة لاصطفاء ما يناسب منها، سواء كان ذلك بالتطابق الكامل أو المقاربة، وتحصيل الكلمة القديمة معنى إضافيا. فإذا تعذر العثور على اللفظ القديم المناسب، فالاشتقاق الذي هو من خصائص العربية كفيلاً بأن يفي بالحاجة.

أما الإبقاء على الجذور الأجنبية للمصطلحات العلمية، فلا نرى أنه يمكن الأخذ به قاعدة مطردة. وليس ذلك متبعاً لدى الشعوب المعتدة بلغتها مثل الشعب الألماني الذي على سبيل المثال، يصر على تسمية التلفزة بلفظ ألماني مغاير لما هو متداول في بقية العالم ثم إن الملاحظ أن جهودنا في تعريب العلوم تتسم بضعف التنسيق وبتضارب الاجتهادات في الكثير من الأحيان، حتى أن اللفظة لا تكاد تفهم على وجهها الصحيح في غير القطر الذي أنشأها. وهذا يعود إلى غياب التعاون المنظم بين جامعاتنا. ومعاهد البحث العلمي عندنا، وإلى فقدان الندوات الدورية في مختلف القطاعات لتمكين ذوي الاختصاص من التلاقى بانتظام، لمناقشة حصيلة دراساتهم ومقارنة ملاحظاتهم.

ويعزى هذا أيضاً إلى أن مجامع اللغة في البلاد العربية لم تهتد بعد إلى أسلوب عملي لتنسيق جهودها، وجعل خططها الدراسية متضافرة متكاملة.

ثم أنه يجدر أن نتساءل عن جدوى التعريب لعلوم. تنهج لها وتضطلع بالبحث لها أم غيرنا. ونحن لانتجاوز في أغلب الأحيان حد التعليم والاقتراس بتعريب العلوم إن لم يقترن بحركة جادة متجهة إلى البحث العلمي في الاجتهاد التكنولوجي، فإنه يبقى عملاً سطحياً بدون جذور ولا كبير نفع. إن وظيفة مجمع اللغة العربية، هذه المؤسسة العتيقة الرفيعة الشأن تنطلق من الغيرة على اللغة العربية، والإيمان بقدراتها العظيمة، والوارع القوى إلى صيانتها وتنميتها. وبهذا الاعتبار فإن مهمة المجمع تتجاوز الإطار اللغوي إلى كل مابه تستقيم صحة اللغة وتزداد قوة على التعبير ونصاعة في الأداء. ذلك أن اللغة منصهرة في حياة المجتمع، تعبر عن مآربه وتطلعاته وخلجاته، إضافة إلى ما حملتها الأجيال السابقة من دلالات ومفاهيم ومجازات. ولسنا نبالغ في شيء إذا ما قلنا أن قوة اللغة من قوة مجتمعتها، وإن ما يطرأ عليه من ضعف وتقهقر، لابد أن ينعكس عليها بالركود والانكماش. إن قدرة اللغة العربية على التعبير، ومرونتها في الأداء، وطاقاتها باتجاه التجديد والابداع، كل ذلك مستمد من حيوية المجمع وتجدد أهتماماته وتوسع مجالات اجتهاده.

ففضية اللغة مرتبطة إذن أشد الارتباط بالفكر وحركيته، والثقافة وشموليتها، والحضارة وابداعاتها المتواصلة.

ويمكن أن نوجز هذه الحقائق كلها بأن نقول أن تنمية اللغة إنما هي متوقفة على تنمية المجتمع.

وكثيراً ما يذهب الساسة، في البلاد التي تنشئ التنمية، إلى أن أدواتها تنحصر في الحقل الاقتصادي والحقيقة أن التنمية تشمل كل أنشطة المجتمع : الفكرية منها والثقافة والعلمية، إلى جانب القطاع الاقتصادي ذلك أن التنمية ليست بعملية سطحية، تخص مظاهر اجتماعية أو اقتصادية يمكن حصرها وتسليط الأضواء. عليها التنمية لا تكون حقيقة إلا إذا كانت شاملة لكل القطاعات، كما ذكرنا آنفاً، وكأن الهدف منها تفعيل المجتمع بتعزيز قدرته على الحركة وعلى المبادرة. والخروج من التخلف إنما هو خروج من السلبية التي كان المجتمع مخلداً إليها، بتفجير ينابيع الاجتهاد في أعماقه.

إن شعوبنا العربية، فى هذه الحقة مضطرة، أكثر فأكثر، فيما يخص مرافق العيش والاقتصاد، إلى مد جسور بينها وبين العالم الملقب بـ "المتقدم" الذى غمر الدنيا بإنتاجه، ودوخ سائر الأقطار بسيطرته الإعلامية وإشعاعه الثقافى، ونفوذ اقتصادى والمالى والسياسى، فضلا عما استتب له من سيادة بالقوة العسكرية. والخيارات المتاحة لشعوبنا، بخصوص نوعية الاتصال بهذا العالم المتقدم، تنحصر فى أحد وجهين : أما البقاء فى سلبية تامة تجاهه، فتكون أقطارنا سوقا مفتوحة له بدون حراك ولا مبادرة، وإما التفاعل معه بقوة متطورة، فى نطاق تنمية حقيقية. تضمن لشعوبنا القدرة على إنشاء علاقات تبادل متكافئة أكثر فأكثر، مع سائر الأمم.

لكن التنمية فى عصرنا هذا تتوقف إلى أبعد الحدود، على ما للشعب من قدرات علمية ومهارات تقنية وطاقات تكنولوجية. فرهان التنمية مرتبط اليوم بمدى السيطرة على هذه المجالات الحيوية لدفع عجلة التنمية - وكذلك لضمان الحد الأدنى من القوة الدفاعية.

والسيطرة على العلوم والتكنولوجيا وسائر التقنيات الحديثة لا تكون بتعلم ما يكتشفه الغير، والاقتراس من بحوثهم، وتقليد ما يضعونه. السيطرة لا تكون إلا بالمشاركة الفعلية فى البحث العلمى وإثرائه، وابتكار التقنيات المتلائمة مع مناخ شعوبنا الثقافى والاجتماعى، والارتقاء إلى مرتبة الاجتهاد فى كل ما يحتاج إليه المجتمع العربى من أدوات وأجهزة ومرافق، حتى لا يبقى عالة على ما يأتى من الخارج، مرتهن، فى مجالات حيوية، بقرار غير قراره.

ولبلوغ هذه الدرجة من السيطرة على العلوم والتقنيات، لابد من بذل جهود عظيمة فى إطار مناسب من الإمكانيات المادية والبشرية، ومن حيث المناخ الاجتماعى. وفى ذلك تحديات عديدة تواجهها شعوبنا.

١ - التحدى الأول يتعلق بتوفير الإمكانيات المادية التى يحتاج إليها البحث العلمى. وهى أثقل من أن تقدر عليها دول أوربية من حجم ألمانيا أو فرنسا، فما بالك بدولنا التى يحتاج أغلبها إلى معونات خارجية.

٢ - ويدخل فى هذا التحدى أيضاً ضرورة تفرغ عدد كبير من العلماء ورجال التقنيات المختلفة وهو كذلك مما تنوء به دول متقدمة مثل التى ذكرنا، فضلاً عن أقطار لاتزال فى أول مسيرتها الإنمائية.

وليس فى العالم اليوم دولة غير الولايات المتحدة تقدر، منفردة، على التغلب على معطيات هذا التحدى، فيكون لها من أهل العلم والتقنية ما يفى بالحاجة، ويكون فى مقدورها أن تخصص المبالغ التى يقتضيها البحث العلمى ومختلف نفقات التجارب التكنولوجية. ولذلك نرى الاتحاد الأوروبى يسعى لتوحيد جهود دوله فى هذه المجالات، كى لا يبقى تابعا لأمريكا محتاجا إلى الأخذ عنها. فهل نستخلص من هذه الحقائق أن الطريق مسدود أمام شعوبنا.

لاشك أن شعوبنا لن يتسنى لها كسب التنمية إلابالعلوم والتكنولوجيا. ولا شك أن السيطرة على العلوم والتكنولوجيا لن تتحقق إلا ببناء القدرة على البحث العلمى والإبداع التكنولوجى، لا لسد حاجتنا جميعا وهى غاية يعسر إدراكها على الدول العظمى - بل للإصلاح من علاقتنا مع سائر الأمم، وجعل هذه العلاقة تتطور نحو التكافؤ ونحو الإفراح من حرية قرارنا.

وللتغلب على ما تشكوه كل دولة من دولنا من نقص فى الأموال أو نقص عدد العلماء والفنيين - أو أحيانا فى كليهما معا - فإن الحل المتاح أمامنا هو أن نضم إمكانياتنا جميعا حسب مخطط يوزع الأعمال وينسق بينها ومسئولية التخطيط لهذا العمل العظيم والإشراف على تنفيذه، يجب أن تفرغ لهما المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، لأن هذا العمل هو المدخل الحقيقى إلى الارتقاء بمجتمعاتنا إلى مصاف الأمم التى تمسك ببعض ناصية مصيرها، لأنها تعلم الكثير مما يعلمه الآخرون، وتقدر على الكثير مما يقدرون عليه. وحبذا لو تفرغت كذلك لنفس الغرض المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم فتتضافر جهود الدول العربية والإسلامية. فإن ذلك سيزيد من سرعة الإنجاز بتوسيع الإمكانيات العلمية والمادية المعتمدة.

وعندئذ تزداد أهمية ماندعو اليوم إليه من اجتهاد فى تعريب العلوم، لأن مجتمعاتنا لا تكون مقصورة على استهلاك ما أنتجه غيرها من الأمم بل تكون قد انكبت على الإسهام الجدى فيه، بكل طاقاتها الفكرية والمادية.

وعندئذ تستعيد لغتنا ما كان لها من قوة واشعاع وكفاية، لما كانت سيدة لغات زمانها فى أداء حصيلة البحث العلمى والأجتهد الفلسفى، وتسمية ما يستنبطه أهلها من مرافق الحضارة. هذا هو التحدى الكبير الذى على شعوبنا الفور به لتمسك بزمام مصيرها، وتدخل المحافل الأهمية وهى قادرة على الإسهام فى جلائل الأعمال، لافقط مدافعة عن حقوقها المهضومة أو منددة بما تتعرض له من اعتداءات على الأرواح وعلى الأرض وعلى الثروات وهو عمل يستحق أن تضحي دولنا فى سبيل تحقيقه بكل غال وأن تضمن له الوسائل اللازمة، من تفريغ ثلة من أكابر علمائنا، ورصد المبالغ المالية الكافية لإلحاح خططهم، واتخاذ القوانين الملزمة لسائر الجامعات ومعاهد البحث، للعمل فى إطار تنسيق عام تشرف عليه المنظمة. بتنامى المبادلات الاقتصادية والثقافية، وتزايد التفاعل مع المجتمع الدولى، تتسرب إلى مجتمعاتنا ألوان من السلوك، ونماذج من التفكير، تنتمى إلى الحضارة الجديدة التى تنافس على زعامتها أوروبا وأمريكا، والتى هى فى طريقها إلى أن تسود العالم بأسره. وتتسرب هذه الشوائب فى طى ما نتطلع إليه من إنتاج ثقافى وفنى، وما نأخذ به من أساليب الفكر الحديث، ومن خلال مانتعود الاحتياج إليه من أجهزة ووسائل تقنية أصبحت من ضرورات الحياة اليومية.

نعم كل واحدة من هذه الهنات لا ورن لها - أو هى تبدو كذلك - ولكنها أكثر من أن تحصر وهى تكتنفنا من كل جانب. ومجموعها ثقل الوطأة ويؤول بمجتمعاتنا إلى تغيرات عميقة تمس التقاليد وتنفلد إلى القيم الاجتماعية، وتنال أحيانا من القيم الأخلاقية وإذا بنظرنا إلى الأشياء تتغير، وإذا بتقييمنا للأمور يتبدل. ينحل، من حيث لانشعر، ورباط التكافل بين أفراد العائلة. وتضعف أواصر التضامن داخل المجتمع. والتضامن والتكافل هما من أهم مقومات حضارتنا ومن أقوى دعائم مجتمعاتنا.

وهذا هو التحدى الثانى الذى تواجهه مجتمعاتنا العربية وقد يحبط جهودها فى التغلب على التحدى الأول، باختلاف السبل أمامها وتفاقم الجدل فى خصوص آثار التنمية على الأصالة، وما ينتج حتما عن مساعى الحداثة من مخاطر تختلف فى تقييمها، وفى طرق التحصن منها.

فالتحدى الأكبر الذى تواجهه مجتمعاتنا اليوم - بعد تحدى التنمية وبسببه - اليوم - إنما ينصب أساسا على إيجاد توازنات حية مرنة بين فروض التنمية وماتقوم عليه من اتجاهات وحركية وتطور، وبين واجب الحفاظ على شخصيتنا الحضارية وذاتيتنا الثقافية .

وتلك من أكبر المضلات التى تواجهها الإنسانية عامة. وهى أشد وطأة وأصعب مراسا بالنسبة إلى مجتمعات مختلفة لا تملك من الحيوية الاجتماعية والحركية الاقتصادية ما يمكنها من حرية القرار وشرف المسؤولية.

وأخطر ما يهدد مجتمعاتنا من جراء ذلك، تضاول الرابطة بالتراث، وتراجع عاطفة الانتماء عند من يسميهم الجاحظ بـ "النابة" لتغلب الانبهار عندهم بحضارة قدرت على ضبط نوااميس الطبيعة ونفذت بالحس أو بالمعنى، إلى أقطاب الكون، إضافة إلى أنها أعطت الإنسان الغربى قوة سيطرة لم يسبق أن ارتقت إلى مثلها أمة فى التاريخ.

ومن نتائج هذا الانبهار أنه يجعل، إلى جانب ثقافتنا القومية، ثقافة مرجعية تحكم تقييماتنا الأدبية الاجتماعية والفكرية وتغير من لغتنا، لا فقط بإدخال كلمات أجنبية عليها، بل بتغيير سبك جملها، وإيقاعها تراكيب أعجمية فيها، وقوالب وصيغ تعبيرية ليست متألقة مع النفس الأسلوبية الذى تختص به لغتنا .

لكن شئنا أم أبينا ثمن ماتصبو إليه، شعوبنا من اردهار وتقدم وسؤدد ، هو هذا التلوث من المرجعيات التى تفرض علينا حضاريا، وثقافياً، ولغوياً.

وإذا نحن تصدينا للعملية الإنمائية بكل ما تعنيه من تفعيل المجتمع، وإخراجه من السلبية فلإن وعينا لخطر هذه المرجعيات الحضارية على صيانة ذاتيتنا من الانبهار، وحشنا على الأخذ بالنسبية فى تقييم مخاطر ما يسميه البعض بالتلوث الحضارى والثقافى واللغوى وكفيل أيضا إقناعنا بالسعى لمعالجة ما يمس القيم العليا واللحمة التى بها تماسك مجتمعاتنا، بما يلزم من حيطة وحذر.

فمدار رهان التنمية إنما هو فى القدرة على التمييز بين الجوهر والإعراض فأما الجوهر فهو بناء مجتمعات قوية، مزدهرة يحق الاعتزاز بها. وتلك هى الكرامة الحقيقية وأما الإعراض، فما سوى ذلك من تنظيمات دخيلة أو قديمة،

بعضها مرتبط بظروف الزمان والمكان، وبعضها يختلف باختلاف البيئات الحضارية والأجواء الثقافية.

والتمييز بين الجواهر والأعراض، أن يصبح واضحاً كل الوضوح لدى شعوبنا، فانه يمكنها من الصبر على بعض الأذى، من أجل الحصول على أسباب العزة والكرامة.

هذه الصحوه بإحكام التمييز بين الأمور وجعل كل منها فى نصابه . هذه الصحوه ضرورية حتى لا تخطئ مجتمعاتنا، فتتجه إلى تحديات غير نافذة، فتخرج من ساحة التاريخ، لذهاب ريحها وانقطاع جهدها.

وضرورة هذه الصحوه تزداد قوة وتاكداً، نظراً إلى وجود امتنا فى منعرج من صراعها مع الصهيونية : فلما أن نكسب معركة السلام مع إسرائيل، وذلك يتطلب منها اقتصاداً نامياً بحق، وجهوداً متناسقة بجهد، لأن السلام معركة حامية الوطيس، يكسبها ذوو الإرادة القوية المعززة بطاقات عديدة من العلوم والتكنولوجيا والتنمية الشاملة، وإما أن يتم لإسرائيل - لا قدر الله - ما خططت له الصهيونية من هيمنة على المنطقة وثرواتها، فتكون دولنا قد فشلت فى قيادة الحرب، وتكون شعوبنا قد خسرت معركة السلام.

فى تاريخ امتنا فترات كانت فيها تروم بلوغ أهداف جليلة . فإذا بنكبات تحل بها أو بفتن تزعزع أركانها، فتنكس مسيرتها نحو القوة والعزة.

وفى تاريخ الإنسانية مواعظ تشير إلى أن الأمم، كالأفراد، معرضة للموت والانذار، لصروف كثيرة من التاريخ، منها انقطاع الصلة بالجدور أو الوقوف عند الماضى والانشغال عن المستقبل.

إن قوة الأمة من قوة جذورها ومن قدرتها على صنع مصيرها، معا بدون انفصام بين هذين الركنين.

وإنه من جد شعوبنا أن تؤلف أمة، بتاريخها المشترك، وحضارتها المجيدة، وهذه اللغة تحدث الزمان، ونفذت إلى البيئات الثقافية الدانية منها والقاصية.

وقد كان الانتساب إلى أمة واحدة أحيانا مجلبة للمتاعب لسوء فهم بعضنا للأمة، ولخروج بعضنا عن فروض الأخوة والتضامن والمحبة التي هي أصل معاني الأمة.

ورغم كل شيء يبقى أن الأمة رصيدنا ينبغي ألا نفرط فيه، كما ينبغي أن لانسئ التصرف به.

أن تذهب ربح أمتنا العربية بنشت شعوبها وتناقص اجتهادات دولها، فإن وزن كل شعب من شعوبنا ينخفض، ومكانة كل دولة من دولنا تنتقص.

عندئذ لاشك أن إشعاع ثقافتنا في العالم سيتراجع، وأهمية لغتنا في المحافل الدولية ستتضاءل فترتد هذه وتلك إلى إقليمية ضيقة دون رسالة إنسانية تذكر، ودون استناد إلى فضاء بشري منتظم الأوصال.

بهذا الاعتبار، فإن كل ما يتعلق بنهضة مجتمعاتنا : فضاء حضاريا وثقافيا ولغويا وكل ما يهم شعوبنا : أمة متضامنة الأوصال متكاتفه فإنه يهم هذا الملأ الكريم الذي رسالته الدود عن اللغة العربية في جذورها وفروعها.

إن جيلنا مطالب بأن يجد نقط الوثام والتضافر بين القوى التي تشد أوصال هذه الأمة : اللغة والحضارة والسياسة حتى لا يفرط العقد بطغيان أحد الأثافي على الاثنين الآخرين.

وينبغي أن تنظم نقط الوثام حول محور رئيسي ذي قطبين : التكافل في التنمية والتضامن حين البأس باستقامة هذين الركنين، تستقيم رسالة أمتنا الحضارية ويتسنى لها صيانة شخصيتها وريادة لغتها قوة وعزاً.

ملحق (ب)

وظيفة الترجمة بين حرف المسطرة والمقص (*)

د / محمد القويظلي

كنت قد كتبت في الرياض العدد (٩٦٦٣) أسطراً حول كتاب (بلاغة الفن القصصي) وترجمته إلى العربية وقد أبدت سروري بتلك الترجمة، على الرغم من أن الفارق الزمني بين ظهور الكتاب بالإنجليزية جاور ثلاثين سنة.

ثم قرأت في الرياض العدد (٩٧٠٥) مقالاً بعنوان (وظيفة الترجمة) للدكتور بشير العيسوي. أشار فيه إلى ترجمات من ضمنها الكتاب السابق وحديثي عنه، ويرى أن أسفه على ضياع الجهد في ترجمة كتاب وضع رجله على اعتبار الشيخوخة، ويرى أن ترجمة كتب في مثل عمره، بل كتب يساوي عمرها نصف عمره يرى أنها تقود إلى "عبور إلى الخلف" على حد تعبيره.

تحوي الأسطر اللحقة محاورة لمنطقة الأساس لا لرايه في الكتاب المذكور. وقبل الدخول في الحوار ينبغي أن أشير إلى أن ما تحويه الكلمات اللاحقة من آراء لا تعنى على الإطلاق رفض الأفكار النقدية المعاصرة ولا ما قد يأتي بعدها وما بعدها، إذ أنني أعتقد اعتقاداً صادقاً أن ساحة النقد الأدبي بعامة لم تشهد في تاريخها ازدهاراً وتنوعاً وغنى ومناهج تطبيقية تتسم بقدر كبير من التماسك مثلما هو حادث منذ الخمسينيات. ولا تزال سحب الفكر النقدي تظلم من قبل. وأرى أن على المشتغلين في الحقل واجب ترجمتها ودراستها واستيعابها استيعاباً حقيقياً وتجريباً أيضاً، لا الاكتفاء بأحد موقفين: إما رفضها دون أسباب سوى كونها أجنبية، أو تبنيها تبنيّاً كرنفالياً.

أقول: حاولت مقالة (وظيفة الترجمة) الارتكاز على مفهوم زمني واحد، سأعرض له وسأحاور جوهره وإبعاده.

١ - وهم الفرضية/ النتيجة.

بدأت المقالة بكلام تدعوه (فرضية) ومن أولى بدهيات الافتراض كون (الفرضية) مقولة صائبة تحتل الخطأ ولا مندوحة عن تأسيسها على بعض معطيات

(*) جريدة "الرياض" : ٩٧١٩ بتاريخ ١٩٩٥/٢/٢.

اختبرت، لا مجرد هواجس عبرت، أى أن القضية ليست قضية (رأى) محلق فى سماء العاطفة. وعليه ينبغي أن تتسم الفرضية نفسها بقدر من الوضوح ويغير قليل من التماسك، لتكون شيئاً حياً قميناً بأن يختبر ويُختبر، أما أليت فليس له سوى دعاء بالرحمة يتلوها قبر.

وطرائق اختبار الفرضيات متعددة تعدد المناهج وتنوع المعارف على أنه لا غنى لطريقة تحاول التوصل بالعلمية من أن تكون منطقية متماسكة متدرجة وفى الطرف الآخر من المعادلة البحثية تقع النتيجة التى قد تُكشف عن صحة الفرضية، ومن النادر أن تكون كاملة الصحة فى صياغتها الأولى، وقد تكشف النتيجة عن خطأ الفرضية، أو عن صحة بعضها وخطأ أجزاء منها، فتعدل وتختبر كرة أخرى وأخرى. لتعدل إلى أن تضحى نتيجة وقد تبقى النتيجة معلقة وكذلك الفرضية : على زمن آخر يختبرها بأدوات لم تكن متوفرة للمختبر الأول. لقد شطر علماء الذرة بمعادلات فرضية خطوطاً على لوح الكتابة قبل تفجيرها فى الواقع اختباراً لنتائج تلك الفرضيات لا اختباراً للفرضيات نفسها.

اعلم أنى أحاول توضيح الواضح، وتبيين البين، وإيقاد شمعة فى جوف الظهر وسط الصحراء، وكأنما أحاول القول أن الشمس تشرق من المشرق، ولكن ما الحيلة ان كان غبش عسيبي، يقود إلى غير ذلك، أو يوحى به.

ولنبداً بقراءة الفرضية نفسها، قبل النظر فى كيف اختبرت المقالة تلك الفرضية التى طرحتها فى البداية، أمل من القارئ الكريم قراءة كلام الدكتور العيسوى بدقة، يقول الدكتور فى الفقرة الأولى السطر ٧ - ١١ بوجود أن "توفر فى النصوص المترجمة إلى العربية بعض (العناصر) التى تؤدى إلى (تحديث) ما لدينا، وأن يكون فى تلك النصوص و (بنفس القدر) (مسحة من المعاصرة)، انتهى التأكيد من عندى.

ما ماهية تلك (العناصر) التى يفترض أن (تؤدى) إلى (تحديث) مالدينا؟ لا إجابة. ولسنا بحاجة لواحدة لأن تنازل الكاتب عن التحديث وشيك. وما معنى (مسحة المعاصرة)؟ لا إجابة وإن كنا سنعلم لاحقاً أنها تركز على عنصر واحد يتيم، وأن المقالة كلها مبنية على هذا العنصر.

إن كل ما يدريه حتى الآن أننا أمام عنصرين هما (التحديث) و (مسحة المعاصرة)، لاحظ (مسحة المعاصرة) لا (المعاصرة). ومسحة الشيء تعنى شيئاً منه لا كله تقول العرب : "عليه مسحة من جمال أو هزال، شيء منه". وواضح أن تلك (المسحة) عند الكاتب الفاصل تساوى من حيث الأهمية تلك (العناصر) المتعلق بها (التحديث): فهو يصر على وجوب توفر العنصرين (بنفس القدر). الخلاصة هي أن (مسحة المعاصرة) تختلف عن التحديث، ولكنها تشترك معه في الأهمية. تنتهى الفقرة الأولى من المقالة بهذا

ثم تسرد المقالة في الفقرة الثانية عناوين خمسة كتب مترجمة وتعنب عناية (خاصة) بتوضيح تواريخ ظهور الطبعة الإنجليزية الأولى منها وتواريخ ترجمتها : فتوضح أن اثنين منها ظهرا في ١٩٦١ - أحدهما (بلاغة الفن القصصى) ترجم في ١٩٦٤، أما الآخر فترجم في ١٩٨٩، وواحد ظهر في ١٩٨٦، وترجم في ١٩٩٣، واثنا ظهرا في ١٩٨٨ ترجم أحدهما في عام ١٩٩١ وترجم الآخر في عام ١٩٩٩، والكتب كلها في مجال علمي الاجتماع والتربية، ما عدا كتاب (بلاغة الفن القصصى) هذا كل ما حوته الفقرة الثانية.

وفي منتصف العمود الأول من المقالة تبدأ الفقرة الثالثة حيث نقرأ صياغة ثانية للفرضية السابقة نفسها - أمل من القارئ الكريم ملاحظة تحولات الموقف من مفهوم (التحديث/الحديث) - يقول الدكتور الفاضل ما نصه نصاً حرفياً دقيقاً : "ومن مقارنة تاريخي الطبعة الأولى في الإتحادية وظهور تلك الكتب مترجمة إلى العربية، يمكننا القول أن الكتابين الأولين وهما التمييز : الموهبة والقيادة وكذلك "بلاغة الفن القصصى" - رغم اختلاف الحقلين اللذين يتناولهما - قد أخلا (بالفرضية) الأساسية التي يبنى عليها هذا المقال (وهي) تحديث الوجود العربي من خلال ربطه بما هو معاصرة مماثلة وليس تحديثاً فقط ولكن الظاهر لا بد أن نتخلف بغض الوقت أو حتى العقود عما لدى الغرب لذا يكون ما لديهم معاصراً بينها هو جديد حديث لدينا، والمعاصر ابن اليوم، أما الحديث الذي نقصده فهو ابن عشرين أو أربعين سنة مضت". انتهى التأكيد من عندي.

أقول : إنا صرفنا النظر عما في الأسلوب من ضعف وتداخل وحاولنا قراءته مرة ومرة لتبين المقصود، يتبين لنا أن كلمة (مسحة) قد اختفت بقيت (المعاصرة)،

وإن المقالة تؤكد أن (المعاصرة) شئ غير (التحديث)، وإن الفرق بينهما فرق زمنى تاريخى. ويتضح من عبارة (نتخلف) أن (التحديث) غير مطلوب أما المطلوب فهو (المعاصر) "ابن اليوم" على حد تعبير الكاتب.

بمقارنة صيغتي الفرضية فى الفقرتين الأولى والثالثة يتضح أن (التحديث) الذى كان مطلوباً فى الصيغة الأولى، والمساوى من حيث أهميته لـ (مسحة المعاصرة) - هذا التحديث أمسى غير مرغوب فيه فى نهاية الصيغة الثانية. أما (المعاصرة) فقد أصبحت هى المطلوبة وحدها فى نهاية الصيغة الأولى (مسحة) منها فحسب.

وهكذا ناقضت المقالة فى بداية الفقرة الثالثة ما قالت فى نهاية الفقرة الأولى. ولست بحاجة إلى التأكيد على أن الفرضية لم تقف على قدميها، دع عنك سيرها بحثاً عن تأكيد ذاتها. لقد كانت المقالة فى غنى عن تناقض يتحسّر فى حلقتها قبل أن تقف على قدميها. تغنيها عنه الفقرة الثانية وما فيها من إشارات إلى تواريخ ظهور الكتب وتواريخ ترجمتها. إن (فرضية؛؛) المقالة هى أنه ينبغى ألا نترجم من المؤلفات سوى الكتب الساخنة التى لم يمض على خروجها من المطابع سوى سبع سنوات (أو أقل من سبع والسبع كثير كما يقول الدكتور الفاضل (نستكثر السبع سنوات) التى تفصل بين ظهور الكتاب ونقله إلى العربية وذلك تعقياً على ملاحظته أن كتاب (معاونة الكبار على التعلم) ظهر فى ١٩٨٦ وترجم ١٩٩٣.

وهذه على افتراض منطقيتها - لا تعدو أن تكون حكماً عاطفياً جاهزاً، أعطاه وعى الكاتب اسم فرضية. فى حين أن ذاته غير الواعية تعلم غير ذلك ودليل هذا بنصه موجود فى الاقتباس أعلاه من الفقرة الثالثة (بدايتها). ألا يقول الاقتباس بعد سرد تلك الكتب أن كتابى (التمييز : الموهبة والقيادة) و (بلاغة الفن القصصى) "قد أخلأ بالفرضية".

الآن، أن قبلنا (جدلاً) كون تلك فرضية، فإخلال شئ بها يعنى أن العيب فى الفرضية ذاتها لا فى الشئ نفسه فى المفعول به لا بالفاعل. يبقى أن ترجمتى الكتابين قد أخلتا، فى حقيقة الأمر، بموقف سابق التأسيس فى ذهن الكاتب، حكم مقطوع بصحته، جملة إنشائية تتكى على ذاتها، لا على واقع يفترض أن

يحققها أو ينفيا : لهذا السبب نجدها تستمد خبريتها من انشائيتها، تنطلق من ذاتها لتسبح في ذاتها، عائدة إلى ذاتها.

إن سألنا : ما معنى الكتب المعاصرة؟ جاء الجواب : أى تلك التى لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات . وإن سألنا لم ينبغى أن نقتصر على ترجمتها؟ جاء الرد : لأنها معاصرة وأن استفهمنا عن الذى يعطيها قيمة؟ ردت المقالة : كونها معاصرة، وإن قلنا ما يدرينا أنها معاصرة فعلاً؟ أتى الجواب : لأنه لم يمض على صدورها أكثر من سبع سنوات .

تأسيساً على ما سبق وبحساب بسيط جداً نجد أن عام ١٩٨٩ هو أقدم تاريخ لصلاحية كتاب للترجمة فى سنتنا هذه . أما الكتب التى صدرت قبل هذه السنة؛ فشرط (المعاصرة) غير متحقق فيها؛ فحقها من ثم أن توضع فى متحف الأفكار تمر بها الأجيال لترى آثار الأقدمين .

وأن عنّ لنا أن نسأل : ما مصير كتاب ترجم قبل سبع سنوات، بعد صدور الأصل بست سنوات، أى أنه عمره بات ثلاثة عشر عاماً ولم يعد (معاصراً)، أن نضع الترجمة مع الأصل فى متحف تاريخ الأفكار إياه؟ أم أن الترجمة تعطى الكتاب (حياة أخرى) وتجدد شبابه بجعله (عصرياً) ابن اليوم، وهو عند أهله (حديث) ابن الأمس؟ هذا سؤال، وغيره كثير.

وموجز القول هو أن مقالة (وظيفة الترجمة) أعملت (مسطرة) تاريخ صدور الكتب لتحكم بصلاحياتها للترجمة، فما كان منها (قياس) سبع سنوات (صلح)، وما تعدى علامة السبعة فى المسطرة (لا يصلح) [هكذا].

وقد مر بنا دليل واضح لامراء فيه على توظيف (المسطرة) لكننا لم نتوقف عند دلالاته المتعلقة بالمسطرة، فلا بأس من أن نذكر به دون إعادته كاملاً، يقول الدكتور الفاضل فى بداية الفقرة الثالثة من المقالة أى بعد الفقرة الثانية التى حددت مسرداً بالكتب وتواريخ ترجمتها : "ومن مقارنة تاريخى الطبعة الأولى فى الإنجليزية وظهور تلك الكتب العربية يمكننا القول أن الكتابين الأولين قد أحلا بالفرضية الأساسية [...]".

هاك دليل آخر : عندما أتى الدكتور الفاضل إلى كتاب (بلاغة الفن القصصى) حكم بسخرية لا تخفى بأن ترجمته ليست سوى تعلق بماض زال بزوال أهله؛ وكاد أستاذنا الفاضل أن يحى تصنيفاً مات بعد ١٩٦٧م. ليحكم (برجعتى)، أما مترجمو الكتاب (فرجعتهما) أعظم؛ هذا كله تأسيس على تاريخ صدور الكتاب (١٩٦١) فحسب، أى أن الدكتور الفاضل لم يشر سوى إلى عنوان الكتاب وتاريخ صدوره وعام ترجمته، أما ما يحويه الكتاب فلم يحظ من الدكتور الفاضل ولو بإشارة يتيمة، أو كلمة مفردة. وكان المتوقع - لسلامة إجراء اختيار (الفرضية؛) على الأقل - أن يقارن محتوى الكتاب بواقع النقد الآن، ليحكم بقدمه وأن الترحيب بترجمته بعد كل هذه السنين ليس سوى "مفارقة" على حد تعبيره.

لست فى حقيقة الأمر، بصدد الدفاع عن الكتاب، فالكتاب يدافع عن نفسه بنفسه، وكتاب ليست هذه صفته لا يستحق أن يكتب أصلاً. ثم أن الدكتور لم يقل شيئاً عن الكاتب نفسه؟ أما سنة ١٩٦١، فلا أدري شيئاً عن جنائتها عليه. والخلاصة هى أن الدكتور الفاضل قرأ تاريخ الصدور ولم يقرأ الكتاب؛ وما حاجته إلى قراءة الكتاب والمسطرة فى يده؟

أما من يقرأون الواقع النقدى العربى، بدون مسطرة ومن غير مثلث، وبلا منقلة؛ فقد سرتهم رؤية الكتاب "بلسان عربى". انظر ما كتبه الدكتور عبد الله الغدامى فى نهاية (السحارة) الرياض العدد (٩٦٦٢).

٢ - وهم الإلغاء المعرفى

لقد وضعت المقالة المعارف الإنسانية فى سلة واحدة، أو على لوح مسطح واحد، واعملت المقيص تقوده أرقام معينة على طرف المسطرة؛ مغفلة حقيقة أن المعارف الانسانية تختلف فيما بينها من حيث تطورها، وتختلف من ثم من حيث احتمال إلغاء الجديد منها القديم.

أقول بإيجاز - وإن لم اكن بحاجة للقول - أن حقلاً يقع فيه علم كعلم الكمبيوتر يتطور (تطوراً خطياً) بمعنى أن اللاحق يلغى السابق؛ فأهل الاختصاص يقولون أن كل عقد من الزمن يشهد ظهور جيل جديد يحل الجيل السابق ومعظم علومه إلى تاريخ. تأسيساً على هذا لو ترجم شخص كتاباً، أو مقالة فى علم الكمبيوتر صدرا قبل خمس عشرة سنة؛ لحكمنا بعيشة ما يفعل، ولأسفنا على

ضيماع جهده. وقل الشيء نفسه مع تقليص المدة إلى الثلث. بل دون ذلك - عن بحث عن مرض مثل مرض (الإيدز) - وقانا الله وإياكم سوء - فالأبحاث فيه قد تصبح (قديمة) قبل ظهورها أحياناً في الدوريات المتخصصة.

أما الحقل المعرفي الذي ينتمى إليه النقد الأدبي فحقل يتطور (تطوراً دائرياً). بمعنى أن مقولة الإلغاء فيه غير واردة فهو يتراكم تراكمًا تصاعدياً دائرياً. ولا يلغى بعضه بعضاً من حيث هو فكر قابل لأن تتلبسه حياة في فترة ما؛ فيصبح جوهراً (معاصراً) كرة أخرى بعد أن كان (معاصراً) قبل مئات السنين.

أقول؛ لا يننى الفكر النقدي يدور حول قضايا مركزية ذات شعب ثقل وتكثر، تتغير صيغ الأسئلة المطروحة حولها، وتتغير المنطلقات، وتختلف الرؤى، نعم ولكن مهما ابتعد سؤال من سؤال ومنطلق عن منطلق لا يلغى السابق منها اللاحق. بل لا يلغى الناقد نفسه أن هو غير موقفه، أو عدله تعديلاً جذرياً، وهم أكثر. أن التاريخ نفسه - أعني تاريخ النقد الأدبي - ليس شيئاً سوى هذا.

حتى تلك الأفكار التي نظن أنها (حديثة) غير مسبوق إليها نفاجاً بوجود جواهرها في كتب حكمنّا بأنها كتب صفراء عمرها مئات السنين لا عشراتها، أذكر في هذا السياق مبرع جريماس الشهير ووجود أشباهه في التراث العربي كما أخبرنا بذلك د. محمد مفتاح، انظر إلى شيء قريب، أعني تعليق د. ميجان الرويلي في عدد الرياض نفسه الذي نشرت فيه مقالة (وظيفة الترجمة)، وحديثه عن أن ما تحدث به (دريدا) عن الاستعارة وفناء صورها تحدث عنه الجرجاني قبله، وما أبعد الأول عن الثاني تاريخياً وثقافياً.

بل انظر إلى ما يصدر في الغرب الآن، تجد فيه عودة واضحة السمات إلى أفكار وطروحات ظن أقوام إن مد البنائية والسيمائية والتفكيكية. قد أحالها إلى ذكرى تلو كها رياح التاريخ.

أعوذ لتلك (المسطرة) الزمنية لأسال متى ترجم كتاب سوسير (درس في الألسنية العامة) إلى الإنجليزية، ألم يترجم بعد أكثر من أربعين سنة من صدوره؟

ولم تعد طباعة كتاب بارت Elements Of Semiology خمس عشرة منذ صدور ترجمته الإنجليزية في ١٩٦٧ ؟ يظهر أن أصحابنا الخواجات لم يكتشفوا بعد تلك المسطرة السحرية؟

ختاماً لهذا الجزء من الحديث أشير إلى أن الدكتور الفاضل تفضل بسؤالى
قائلاً : "الايرى معى [...] محمد القويلى أن هذه العملية [يقصد ترجمة كتاب
بوث] ستكون عبوراً إلى الخلف؟ .

أجيب على السؤال بسؤال هو : أيعتقد الدكتور العيسوى أن نقد الرواية فى
العالم العربى تجاوز (فعلاً) ما فى كتاب بوث؟ بل، هو هل وصل إليه؟ دع عنك
جملة أفراد هنا وهناك ليسوا بحاجة إلى أن يترجم لهم أحد. اخشى أن المسطرة
إياها هى التى أملت السؤال، وما أخطر أن نقرأ الواقع العربى (بالمسطرة).

ولا أدرى كيف وجدت مقالة (وظيفة الترجمة) علاقة بين ما قاله رانسوم عن
كتاب بوث وبين أفكار رانسوم عن الشعر الفيزيقي والأفلاطونى حتى يظهر سؤال
عما إذا كنت أقبل أن يستشهد طالب النقد فى نهاية ١٩٩٤ بما قاله رانسوم؟
يؤسفنى ألا أكون عند (حسن ظن) الدكتور العيسوى الذى تطفف فظن أنى لا أقبل
بذلك ولا أرتضيه.

أقول مجيباً عن نفسى : نعم أقبل أن يستشهد طالب النقد فى عام ١٩٩٤ بما
قاله رانسوم ومن كان قبل رانسوم ومن كان قبلهما، وإن وجد طالب النقد فى
حفريات الفراعنة نصوصاً نقدية، أو اكتشف نصوصاً على جذران الكهوف، ورأى
أن يستشهد بها فله عندى مطلق الحرية أن يفعل ذلك، وأكون له من الشاكرين
العارفين بفضلته، إن هو دلنى على مصادره.

القضية يا أخى ليست قضية بمن نستشهد فلسنا أمام نص مقدس وآخر غير
مقدس، وإنما هى قضية إلمام بطرائق الاستشهاد، وهل يعى المستشهد دلالة ما
يستشهد به؟ وهل باستطاعة طالب النقد استثمار ما يستشهد به؟ وهل يتسق ما
يستشهد به مع ما هو بصده؟ وهل . وهل؟ الأسئلة كثيرة، وليس من بينها سؤال
بمن نستشهد فى مجال النقد الأدبى.

٣- وهم التماهى الحضارى

لا أكاد أصدق أن مقالة (وظيفة الترجمة) أعملت تلك المسطرة على بساط
الحضارة لتقص طرفة قصاً رمنياً؛ اعتقاداً منها أن بإمكاننا أن نساوق الغرب بمجرد

ترجمة كتب صدرت عندهم حديثاً؛ لنحقق - على حد تعبير الكاتب - "معاصرة مماثلة" أسأل ببراءة : ماذا عن ماضيهم هم الذى بنيت عليه تلك الكتب؟ أم تراها نشأت من فراغ؟

نعم ينبغي أن نعرف ما لديهم اليوم، ولكن هذا لا يكفى، لكى نفهم اليوم لابد من أن نفهم الأمس، أليس كذلك؟ أم أن بوسعنا أن نكون جيرانهم فى عمارة مجاورة فى الطابق الخامس الشرفة أمام الشرفة، (نصيد) ما (ينشرون)، ونحن لم نبن بعد الطابق الثانى؟ وما دما سنضع أمسهم فى المتحف، ونكتفى بملاحظة يومهم، فماذا عن يومنا نحن؟ وماذا عن أمسنا؟ أعنى ما دام أن أمسهم يدفعنا إلى أن "نتخلف بعض الوقت" وهو أب يومهم وجده، فماذا عن يومنا، وماذا عن أبيه؟ وماذا عن جده؟

رحم الله جدى الذى حدثنى أن رجلاً سأل صديقه الصياد عن أحواله فقال الصياد : أحوالى فى تحسن مطرد، لقد أمضيت يوم أمس فى البحر سبع ساعات، ولم أظفر بسمكة واحدة.

أما اليوم، فلم تلتقط الشبكة شيئاً، ولكننى لم أمكث فى البحر سوى ست ساعات فحسب.

المؤلف :

- * من مواليد العريش، شمال سيناء، ١٩٥٤.
- * تخرج في قسم اللغة الإنجليزية، كلية الألسن، جامعة عين شمس بتقدير جيد جداً، عام ١٩٧٧.
- * حصل على الماجستير في اللغة الإنجليزية من جامعة عين شمس، وكان موضوع الرسالة " البلاغة عندما ثيوآرنولد"، بتقدير ممتاز، عام ١٩٨٢.
- * حصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس، وكان موضوع الرسالة "فلسفة التسامي في أعمال رالف وولدو إيميرسون" بمرتبة الشرف الثانية، عام ١٩٩٠.
- * يعمل بالتدريس الجامعي منذ ١٩٧٧ وحتى الآن.

رقم الايداع	٩٥ / ٧٩١٠
الترقيم الدولي I. S. B. N	977 - 10 - 0765 - 3

دار المناهل للطباعة
٧ ش يوسف الساري - أرض اللواء
سولاق الدكرور

هذا الكتاب

يطرح للمناقشة عدداً من القضايا التي يضع المؤلف يده عليها ومنها :

✽ تعددية النص المترجم إلى العربية.

✽ غياب المفهوم التاريخي في النصوص المترجمة إلى العربية.

✽ اللغة العربية بين التصعيد والترجمة.

✽ تعريب العلوم.

✽ وظيفة الترجمة.

✽ فن الترجمة.

✽ الترجمة الإبداعية.

✽ ترجمة المصطلح النقدي.

ويعالج المؤلف بالدراسة والتحليل من واقع الأعمال المترجمة إلى العربية تلك القضايا محاولاً الوصول إلى أسباب كل مشكلة على حدة ثم الخلوص إلى نتائج واقتراح الحلول لها. ولا يدعى المؤلف أنه، بهذا الكتاب المتواضع، قد وضع حلولاً ناجعة لتلك القضايا والمشاكل. لكنه يعتقد أن هذا الكتاب، ومن خلال المواضيع التي يناقشها، يعتبر من أوائل الكتب التي تتناول الترجمة إلى العربية كفرع متخصص في الترجمة يفرد له كتاب بعينه ويتناول مشاكلها وقضاياها.

كتاب
الأكاديمية
فخر